@Tafsircenter

جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن الكريم وموضوعاته من القرن العاشر الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري

عرض وتأصيل وتحليل

د. آدم بللو

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

المقدمة:

الحمدُ لله العظيم المنّان الذي أنزل إلينا الكتاب تبيانًا لكلّ شيء وهدى ورحمة لأولي الألباب، والصلاة والسلام على النبيّ المختار وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إنَّ هذا البحث هو مواصلةٌ للحديث عن جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن، وهو البحث الثاني. والبحث الأول قد تناول عرضَ جهود العلماء وتحليل كلامهم في مقاصد القرآن وموضوعاته، وقف حديثُ الباحث فيه عند القرن التاسع الهجري[1]؛ لذا كان بداية الحديث عن جهود العلماء في هذا البحث عن جهود العلماء من القرن العاشر الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري، والعلماء الذين تمَّ الحديث عن جهودهم في هذا البحث، هم: ولي الله الدِّهلَوي (ت:١١٧٦هـ)، والعلّامة عبد الله بن فودي (ت:١٢٤٦هـ)، ومحمد بن علي الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، والشيخ جمال الدين القاسمي (ت:١٣٣٢هـ)، ومحمود شكري الآلوسي (ت:١٣٤٢هـ)، والشيخ محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ)، وسيد قطب (ت:١٣٨٥هـ)، وأخوه محمد قطب (ت:١٣٩٣هـ)، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ).

(١) نُشر هذا البحث على موقع تفسير على هذا الرابط: https://tafsir.net/research/46

إشكالية البحث:

إنَّ الإشكالية الكبيرة لهذا البحث تكمُن في معرفة جهود المتأخّرين في مقاصد القرآن وموضوعاته بخصائصها ومميزاتها وإسهاماتها في تطوير البحث المقاصدي القرآني؛ وذلك لعدم وجود بحث جامع شامل لجهود المتأخّرين والمعاصرين في هذا الحقل الشائك الصعب، الذي يخاف الخوضَ فيه الباحثُ لعدم ضبطِ كثيرٍ من مصطلحات هذا العلم ومباحثه ومسائله، وأبرز الإشكالات التي يريد هذا البحث حلَّها ويجيب عن التساؤلات الممكنة في جهود العصور المختارة لهذا البحث، هي:

١- هل هناك فرقٌ بين منهج المتقدِّمين والمتأخِّرين في الكشف عن مقاصد القرآن وموضوعاته؟

٢- مَن هم العلماء الذين واصلوا في البحث عن مقاصد القرآن الكريم بعد القرن التاسع الهجري؟

٣- ما هي أهم المؤلّفات المتأخِّرة التي تحدّثت عن مقاصد القرآن؟ وما هي مظانّ وجود الحديث عن المقاصد في تفاسير المتأخّرين والمعاصرين؟

٤- ما هو المستجدّ في البحث المقاصدي عند المتأخّرين؟ وما أهم معالمه وخصائصه؟

٥- ما الذي بقي عالقًا من مباحث مقاصد القرآن حتى نحاول البحث عنه في البحوث اللاحقة؟

٦- ما هي الصعوبات التي اكتنفَت محيط البحث في مقاصد القرآن حتى يُستعدّ للتفكير في التخلّص منها في تطوير هذا العلم؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة أمور، أهمها:

١- ملء الفراغ الباقي في حقل البحث المقاصدي القرآني قدر الإمكان.

٢- بيان المصطلحات الجديدة التي وردت في جهود العلماء المتأخرين في الكشف عن مقاصد القرآن وموضوعاته.

٣- التعريف ببعض الجهود التي لم يتم الحديث عنها في هذا الميدان عند كثير من الباحثين المعاصرين الذين كتبوا في هذا العلم؛ كجهود العلّامة عبد الله ابن فودي، وجهود الشوكاني، وجهود جمال الدين القاسمي، وجهود الإمام الآلوسي.

٤- إبراز أهم الملحوظات والانتقادات التي وُجِّهَتْ إلى تصنيفات مقاصد القرآن عند العلماء المتأخرين والمعاصرين في البحث المقاصدي القرآني.

تقسيمات البحث:

وقد قسَّم الباحث هذا البحث الذي يتناول جهود العلماء المتأخرين من القرن الثاني عشر الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري إلى ثلاثة مباحث وتحتها مطالب، على النحو الآتي:

- **المبحث الأول**: جهود العلماء في مقاصد القرآن وموضوعاته في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريَّين: وتحت هذا المبحث ثلاثة مطالب، وهي:

المطلب الأول: جهود وليّ الله الدِّهْلَوي في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المبحث الثاني: جهود العلّامة عبد الله بن فودي في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المطلب الثالث: جهود محمد بن علي الشوكاني في مقاصد القرآن وموضوعاته.

- **المبحث الثاني**: جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن وموضوعاته في العصر الحديث: وتحت هذا المبحث ستة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: جهود جمال الدين القاسمي في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المطلب الثاني: جهود محمود شكري الآلوسي في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المطلب الثالث: جهود الشيخ محمد رشيد رضا في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المطلب الرابع: جهود سيد قطب في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المطلب الخامس: جهود الشيخ محمد قطب في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المطلب السادس: جهود الطاهر بن عاشور في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المبحث الثالث: مقارنة بين القديم والحديث في معالم وخصائص البحث المقاصدي:

المطلب الأول: خصائص البحث المقاصدي في الحديث.

المطلب الثاني: مقارنة البحث المقاصدي بين القديم والحديث.

- **الخاتمة**.

واللهَ أسألُ أن يوفقنا إلى طلب رضاه والإخلاص في العلم والعمل، ويقوِّينا على بذل مزيد من الخدمة والعمل في تحقيق كتب ومؤلفات أخرى، تسهم في النُّهوض بالأمة إلى بَرِّ الأمان ودار السلام.

المبحث الأول: جهود العلماء في مقاصد القرآن في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريَّين:

المطلب الأول: جهود الدِّهلَوي في الكشف عن مقاصد القرآن وموضوعاته (ت:١١٧٦هـ):

أولًا: مقاصد القرآن وعلومه الخمسة في نظر الدِّهلَوي:

ذكر وليُّ الله الدِّهلَوي مقاصدَ القرآن وموضوعاته في الباب الأول من كتابه: (الفوز الكبير في أصول التفسير)، إلا أنَّه استخدم مصطلح: «علوم القرآن»، ومصطلح «معاني القرآن» في التعبير عن مقاصد القرآن، يقول ولي الله الدِّهْلَوي: «ليعلم أنّ المعاني التي يشتمل عليها القرآن لا تخرج عن خمسة علوم»[(١)]. ثم ذكر الدِّهلَوي هذه العلوم الخمسة التي يرى أنها هي مقاصد القرآن التي تدور عليها آياته وسوره، وهي:

١- علم الأحكام: كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات، أو المعاملات، أو الاجتماع، أو السياسة المدنية، ويرجع تفصيل هذا العلم وشرحه إلى الفقيه.

(١) انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدِّهلَوي، ص٢٩.

٢- **علم الجدل**: وهو المحاجّة مع الفِرَق الأربع الباطلة: اليهود، والنصارى، والمشركين، والمنافقين. ويرجع في شرح هذا العلم وتعريفه إلى المتكلم.

٣- **علم التذكير بآلاء الله (التوحيد)**: كبيان خلق السماوات والأرض، وإلهام العباد ما يحتاجون إليه، وبيان الصفات الإلهية.

٤- **علم التذكير بأيام الله (القصص)**: وهو بيان تلك الوقائع والحوادث التي أحدثها اللهُ تعالى إنعامًا على المطيعين ونكالًا للمجرمين؛ كقصص الأنبياء ومواقف شعوبهم وأقوامهم معهم.

٥- **علم التذكير بالموت وما بعد الموت (علم المعاد)**: كالحشر، والنشر، والحساب، والميزان، والجنة والنار. ويرجع تفصيل هذه العلوم وبيانها وذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بها إلى الواعظ والمذكِّر[(١)].

ويؤكد الدِّهْلَوي أنَّ المقصود بهذه المقاصد القرآنية الخمسة التي تَتَجَزَّأ بين آيات القرآن هو تهذيب النفوس وتزكيتها بدون تفريق أيّ جنس أو طائفة من الناس، سواء كانوا عربًا أو عجمًا، مُتَحَضِّرين أو بَدَوِيِّين، والمقصد الأنفع في

(١) انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدِّهلَوي، ص٢٩-٣٠.

تهذيب النفوس بين هذه المقاصد الخمسة هو مقصد التذكير بآلاء الله الذي تتفرع منه معرفة الربوبية[(١)].

وقد بذل ولي الله الدِّهلَوي جهده في شرح هذه المقاصد الخمسة وبيان خصائصها وسماتها وأنواعها وما يتعلّق بها، وأذكر خلاصة ما ذكره في بيان هذه المقاصد الخمسة لتظهر ثمرة دراسة جهوده في بيان مقاصد القرآن وموضوعاته وذلك في النقطة الآتية.

ثانيًا: شرح مقاصد القرآن وعلومه الخمسة عند الدِّهلَوي:

المقصد الأول: علم الأحكام:

وخلاصة ما ذكره الدِّهْلَوي في مقصد الأحكام هو: أنَّ الأحكام في الملّة المحمدية لم تختلف في أصولها ومسائلها عن الأحكام الموجودة في الشرائع السابقة المنزلة على الأنبياء السابقين، إلّا في تخصيصات بعض العمومات، وزيادة للتوقيتات، وتجديد لبعض ما شرع فيها، وتصحيح لبعض ما حُرِّفَ وبُدِّلَ فيها[(٢)]. وذكر الدِّهْلَوي أيضًا أنَّ مقصد الأحكام في الشريعة الإسلامية

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٦٣. وقارن بـ(محاسن التأويل)، جمال الدين القاسمي، (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٧٢.

رُوعيت فيه المصالح والمفاسد كما هو معروف في علم مقاصد الشريعة وقواعدها[١].

ونبَّه الدِّهلَوي أنَّ القرآن قد نزلت الأحكام فيه جُملة، وفَصَّلَتْها السُّنَّة، وكان أكثر نزول تلك الأحكام في السور المدنية، فهي التي تخَصَّصَتْ في ذكر مواضيع الأحكام، من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والحدود والمواريث وغيرها من الأحكام التشريعية العملية[٢].

وقد ذكر الدِّهْلَوي أنَّ الأحكام الإسلامية التشريعية التي نزل بها القرآن تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الأحكام التي نزلت بدون سبب حادث، أو أمر واقع.

القسم الثاني: الأحكام التي نزلت بسبب بعض الحوادث والوقائع الخاصة[٣].

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٧١-٧٢.

(٢) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٧٣.

(٣) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٧٣-٧٤.

المقصد الثاني: علم الجدَل:

المقصود بالجدل في علوم القرآن وعلم مقاصد القرآن -كما بيَّنه الدِّهلَوي-: هو براهين القرآن وأدلته التي اشتمل عليها، وساقها لهداية الكافرين، وإلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد والأهداف التي يريد تحقيقها وترسيخها في أذهان الناس في جميع أصول الشريعة وفروعها[(١)].

وقد بحث في الجدل القرآني قبل الدِّهلَوي الزركشيُّ في كتابه: (البرهان في علوم القرآن)[(٢)]، والسيوطيُّ في كتابه: (الإتقان في علوم القرآن)[(٣)]، وذكرَا فيه مؤلَّفًا واحدًا وهو كتاب نجم الدين الطوفي الحنبلي: (عَلَمُ الجَزَلِ في عِلْمِ الجَدَل).

وقد ورد لفظ (**الجدل**) وما تصرَّف منه في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعًا، منها خمسة وعشرون موضعًا كان الجدل فيها مذمومًا، ومنها أربعة مواضع كان الجدل فيها محمودًا[(٤)]، وهذا يعني أنّ أغلبَ الجدل والجدال مذمومٌ

---

(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان، للدكتور: حازم سعيد حيدر، ص٢٦٠. نقلًا من مناهج الجدل في القرآن الكريم، للدكتور: زاهر الألمعي، ص٢٥.

(٢) انظر: النوع الثالث والثلاثين، في كتاب البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (٢/ ٢٤).

(٣) انظر: النوع الثامن والستين، في كتاب الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (٥/ ١٩٥٤).

(٤) هذه المواضع الأربعة هي؛ قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[المجادلة: ١]، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ =

يؤدي إلى المنازعة، وليس فيه فائدة، كما يعني هذا أن من الجدل ما هو مفيد ومستحسَن؛ وذلك إذا تجرَّد من الأهواء، وحُبّ التَّصَدُّرِ، والأنَانِيَّة، وقَصَدَ صاحبُه إلى الحقّ، وإلى هذا قصد القرآن الكريم في الآيات التي جادل فيها الفِرَق الضالة من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين وغيرهم.

ويظهر من استقراء مواضيع ورود الجدل في القرآن أنَّه ينقسم من حيث الجواز والحُرمة إلى قسمين:

الأول: الجدل المذموم: وهو ما كان بقصد الغَلَبة والرياء والجدل للباطل، أو بغير علم، أو في مكان غير مناسب، أو لقصد الجدل فقط، كما قال -عز وجل-: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]، فالقصد هنا الجدل للجدل، وقال: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾[غافر: ٤]، الجدل هنا مكابرة؛ لأنها مجادلة في أمور بديهية.

= مِنۡهُمۡ ﴾[العنكبوت: ٤٦]، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾[هود: ٣٢].

وقال: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[غافر: ٥] الجدل هنا غايته نصرة الباطل، ومدافعة الحقّ عن علم وقصد، وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾[الحج: ٨]، وقال -عز وجل-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ [الحج: ٣].

الثاني: الجدل المحمود: وهو ما كان بقصد الوصول إلى الحقّ، ودفعِ الباطل، والدعوة بالحسنى؛ ولذلك قرَنه اللهُ -عز وجل- بالدعوة، فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥]، وقال -عز وجل-: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[العنكبوت: ٤٦]؛ لأن مجادلة الظالمين غير مجدية، وإنما يجدي معهم السلاح والقوة. وقد جادل الأنبياءُ أقوامَهم كثيرًا ولم يملّوا من ذلك حتى قال الباري -عز وجل- حكاية عن قوم نوح: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾[هود: ٣٢][(١)].

(١) انظر: منهجية الحوار الجدلي في القرآن والسُّنة النبوية، الدكتور/ أحمد إدريس الطحان، كلية الشريعة، جامعة دمشق، بحث غير منشور، ص٦-٧.

وأمّا الدِّهلَوي فذكر في (الفوز الكبير في أصول التفسير) أنَّ الجدل القرآني دارت موضوعاته بين أربع فِرَقِ الضلال الباطلة، وهم:

١. اليهود.

٢. النصارى.

٣. المشركون.

٤. المنافقون.

وكان أسلوب القرآن في عرض جدله مع هؤلاء الفِرَق الضالة على طريقتين:

الأولى: أن تُذْكَر العقيدة الباطلة ويُنَصّ على شناعتها وفسادها واستنكارها، فحسب.

الثانية: أن تُحَدَّد الشبهات التي وقع فيها هؤلاء الفِرَق، ثم تُعْرَض حلولها وأجوبتها بالأدلة البرهانية[١].

وقد وقف الدِّهْلَوي مع أنواع الجدل التي وقعت في القرآن الكريم مع الفِرق الضالة، وبيَّن الموضوعات التي خاضها القرآن في الجدل معهم، وبيَّن

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٣٣.

خصائص الجدال الدائر بكلّ فِرقة من هذه الفرق؛ ولكون هذا الموضوع الجدلي يشكّل مساحة واسعة من القرآن الكريم في آياته وسوره رأيتُ تلخيص ما ورد عند الدِّهْلَوي في بيان موضوعات الجدل القرآني وخصائصه وأنواعه، وذلك كما يأتي:

الجدل الأول: الجدل القرآني مع اليهود:

ذكر الدِّهلَوي سبب وقوع الجدل في القرآن مع اليهود؛ والأسباب التي ذكرها:

١- تحريفهم لكتاب الله (التوراة) إمّا لفظيًّا أو معنويًّا[(١)].

٢- كتمانهم لآيات الله المنزّلة في التوراة.

٣- إدخالهم في التوراة ما لم ينزِّل اللهُ فيها.

٤- تقصيرهم في تطبيق أحكام التوراة وشرائعها.

(١) يقول الدِّهلَوي في بيان التحريف اللفظي والمعنوي للتوراة على أيدي اليهود: «وقد تحقّق لدى الفقير أن تحريفهم اللفظي إنما كان في ترجمة التوراة وما يجري مجراها، لا في أصل التوراة وهذا هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، أمّا التحريف المعنوي فإنه عبارة عن التأويلات الفاسدة وحمل الآيات على غير معانيها المرادة بتعسف وانحراف عن قصد السبيل». (الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدِّهلَوي، ص٤٥-٤٨).

٥- العصبية الشديدة لديانتهم وقبيلتهم.

٦- استنكار رسالة سيدنا محمد ﷺ وسوء الأدب معه.

٧- البخل والحرص، وأمثالها من الرذائل الخلقية[١].

الجدل الثاني: الجدل القرآني مع النصارى:

ذكر الدِّهْلَوي أسباب جدل القرآن مع النصارى كما ذكر أسبابه مع اليهود، وهي:

١- ضلال النصارى في البحث عن حقيقة المسيح.

٢- تقسيمهم الآلهة إلى ثلاثة: الإله الأب، الإله الابن، الإله روح القدس.

٣- إيمانهم بأنَّ عيسى عليه السلام مات مقتولًا ومصلوبًا[٢].

الجدل الثالث: الجدل القرآني مع المشركين:

الموضوعات التي وقع الجدل القرآني فيها مع المشركين، هي:

١- معتقدات المشركين الباطلة.

---

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٤٤.

(٢) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٥٥-٥٧.

٢- الشرك مع الله بمختلف أنواعه وصوره.

٣- الأصنام والأوثان وبيان بطلان كونها آلهةً أو أربابًا من دون الله.

٤- موضوعات الإيمان بالله والبعث بعد الموت والحشر والنشر يوم القيامة.

٥- نُبوّة محمد ﷺ وبيان صدقها واستحقاقها لإصلاح ما أفسده الشرك ومعتقداته.

٦- معجزة النبي ﷺ وما يطالبه به المشركون من معجزات أخرى لم يشأ الله إنزالها عليه.

وهذه الموضوعات الجدلية القرآنية التي وجَّهها القرآن إلى المشركين قد تكرّرت في القرآن الكريم بأساليب متعدّدة ذكرها الدِّهلَوي، وكان سبب تكرار هذه المواضيع في القرآن جهل الأمة العربية التي نزل القرآن بلسانها وبعث فيها هذا النبي الأمي الذي لم يقرأ في كتب السابقين، ولأنَّها ليست من أهل الكتاب الذين عرفوا عن الله ورسوله شيئًا كثيرًا[(١)].

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٤٤.

الجدل الرابع: الجدل القرآني مع المنافقين:

والجدل مع المنافقين في القرآن لم يكن كثيرًا كما كان مع اليهود والنصارى، وإنما كان القرآن يبيّن أحوال المنافقين وظنونهم السيئة مع الله والمؤمنين في مواقف كثيرة، وكان قصد القرآن من كثرة ذكر المنافقين في القرآن وأحوالهم: التحذير منهم، وعدم الاطمئنان إليهم؛ لذلك يقول الدِّهْلَوي: «وقد كشف الله تعالى في القرآن الحكيم عن أعمال هؤلاء المنافقين وأخلاقهم، وبيَّنَها أتمّ بيان، وأكثر من ذكر أحوال الطائفتين من المنافقين حتى تكون الأمة على حذر منها وتجتنبها كلّ الاجتناب»[(١)].

يقول وليُّ الله الدِّهلَوي في نهاية الكلام عن مقصد الجدل في القرآن بأبعاده ومقاصده الأربعة: «فالمطلوب الحقيقي هو بيان كليات هذه المقاصد والمعاني لا خصوص الحوادث والتفصيلات الجزئية، وهذا هو التحقيق الذي تيسّر لي في تفصيل عقائد هذه الفرق الباطلة والردود عليها، وأخال أن هذا البحث المحقّق فيه غنية وكفاية لفهم آيات الجدل القرآني إن شاء الله تعالى»[(٢)].

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٦٠.

(٢) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٦٢.

المقصد الثالث: التذكير بآلاء الله (مقصد التوحيد):

جعل الدِّهْلَوي (التذكير بآلاء الله) مقصدًا من مقاصد القرآن، ويظهر من كلام الدِّهْلَوي تحت هذا المقصد القرآني أنَّه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التذكير بآلاء الله تعالى بذكر صفاته وأسمائه، وإثبات وجوده تعالى عن طريقها.

القسم الثاني: التذكير بآلاء الله تعالى في خلقه؛ من خلقِ الأشياء لهم وإمدادهم بالنعم الإلهية.

و(التذكير بآلاء الله) مصطلح قرآني أصيل لم يُحْدِثْه الدِّهْلَوي؛ بل القرآن نفسه استخدم هذا المصطلح، يقول الله تعالى في قصة عاد مع نبيهم هود عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٥٥]، وقال أيضًا: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن: ١٣].

والتذكير بآلاء الله هو التذكير بنعمِه تعالى، وهذا التأويل مرويّ عن قتادة والسدي وابن زيد كما في تفسير الطبري[(١)].

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، (١٢/ ٥٠٦).

وقد وردت كلمة {آلاء} في القرآن الكريم ٣٤ مرة: مرتين في سورة الأعراف [٦٩، ٧٤]، ومرة واحدة في سورة النجم [٥٥]، والمواضع الباقية في سورة الرحمن، وأجمع أهل اللغة وعامة المفسرين على أن معناها: النِّعَم.

ولكن الإمام الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إنَّ القرآن وكلام العرب كلاهما يأبى هذا المعنى، والظاهر عنده أن معناها: الفِعَال العجيبة، ولما كان غالب فِعَال الله تعالى الرحمة، ظنُّوا أنَّ الآلاء هي النّعم[(١)]، فكلمة الآلاء عند الفراهي تشمل في أصل معناها: عجائب لطف الله تعالى وبطشه وقدرته، والنعمة ليست إلا وجهًا واحدًا من وجوه معناها، وقد غلب هذا الوجه على الكلمة فيما بعدُ؛ لأنَّ غالب أفعال الله تعالى من الرحمة والنعمة.

وقد استدلّ العلّامة الفراهي على ما ذهب إليه بالقرآن الكريم وكلام العرب، وقد فطن بعض أهل التفسير قديمًا بأنَّ هذه الكلمة ليست في الأصل بمعنى النعمة، فروى الإمام الطبري عن ابن زيد أنه قال: «الآلاء: القدرة»[(٢)]. ولكن الغريب أن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد هذا القول ضمن الروايات التي احتج بها

(١) انظر: مفردات القرآن؛ نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، للإمام عبد الحميد الفراهي، تحقيق الدكتور: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط١، سنة: ٢٠٠٢م، ص١٢٥-١٢٦.
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٢/ ٢٣).

على معنى النِّعَم، ثم التزم تفسيرها بالنعم في جميع المواضع إلا واحدًا، وهو بعد قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن: ٣٧، ٣٨]، فقال في تفسيرها: «يقول تعالى ذكره: فبأيّ قدرة ربكما معشر الجنّ والإنس على ما أخبركم بأنه فاعل بكم تكذبان؟»[(١)]، وواضح هنا أن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لاحظ أن معنى النعم لا يستقيم في هذه الآية، ففسّرها بالقدرة.

وقد تساءل العلّامةُ فخر الدين الرازي مرّة بعد أخرى في تفسير الآية حينما جاءت بعد ذكر عجائب خلق الله وقدرته، ثم أجاب عنها من وجوه؛ منها: «أن الآية مذكورة لبيان القدرة لا لبيان النعمة»[(٢)].

وأكبر آلاء الله -سواء أخذنا قول من قال: الآلاء: النِّعَم، أو قول من قال: هي القدرة والعجائب- التي يجب أن يتذكرها العبد هي نعمة التوحيد، بأن يكون العبد عارفًا بالله، ومطيعًا له، ومؤمنًا به، ثم يتذكّر سائر النعم من خلق الأشياء له، وتسخيرها لمعاشه واستمتاعه بها، وغير ذلك.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٣/ ٥١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٩/ ٣٤٩).

وذكر الدِّهْلَوي أنَّ من آلائه تعالى: ذِكر أسمائه وصفاته العليا؛ ليعرفه الناس بها، ويعتقدوها في قلوبهم، ويُوَحِّدُوه فيها؛ لأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وكان أسلوب القرآن في التعريف بأسماء الله وصفاته واضحًا وسهلًا، يدركه الناس بأدنى فهمهم، وليس فيه ما يدعو إلى التشبيه أو التعطيل أو الفلسفة(١).

المقصد الرابع: التذكير بأيّام الله (مقصد القصص):

هذا المقصد ذكره بعض مَن تحدّث عن مقاصد القرآن وعلومه التي اشتمل عليها باسم (القصص)، وأمّا الدِّهلَوي فعبَّر عنه بـ(أيّام الله) بدل (القصص)، وقد أخذ الدِّهلَوي هذا المصطلح من القرآن نفسه؛ حيث يقول الله تعالى مخبرًا عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾[إبراهيم: ٥]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[الجاثية: ١٤].

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهْلَوي، ص٦٣-٦٤.

و(**أيّام الله**) هي: «الأخبار والقصص التي وقعت مع الصالحين والمجرمين من خلق الله تعالى، وكيف صنع الله بهم»، هكذا فسَّر ابن زيد الآية حيث قال في تفسيرها كما روى ذلك عنه الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾[إبراهيم: ٥]، قال: «أيامه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم خَوَّفهم بها، وحذَّرهم إياها، وذكّرهم أنْ يصيبهم ما أصاب الذين مِن قبلهم»[(١)].

وتعريف الدِّهلَوي (لأيام الله) هو مثل قول ابن زيد وتفسيره، فإنَّ الدِّهْلَوي قال في تعريف أيام الله: «أمّا (أيام الله) وهي تلك الوقائع والحوادث التي أوجدها اللهُ تعالى إنعامًا على المطيعين، وانتقامًا من العصاة المجرمين»[(٢)].

وقد اختار اللهُ تعالى من قصص الغابرين ما قرعت أسماع الكفار والمشركين، ولم يتعرّض القرآن الكريم للقصص الغريبة للفُرس والهنود، كما أنه لم يذكر من القصص المشهورة إلا الأجزاء الضرورية التي تنفع في التذكير والموعظة، ولم يَستَقْصِ جميع التفاصيل الخاصّة التي اشتملت عليها القصص، بل اكتفى بالأجزاء المهمة من القصة وتحاشَى عن غرائب القصص

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٦/ ٥٢٢).

(٢) انظر: الفوز الكبير، الدِّهْلَوي، ص٦٦.

والتفاصيل الجزئية؛ لئلّا يفوت الغرض الأساسي -وهو التذكير- من بيان القصة الذي يهدف إليه القرآن الكريم[١].

وأمّا الغرض من وراء هذا المقصد (أيام الله) في القرآن فيقول الدِّهلَوي في بيان مقصد القرآن في إيراد القصص وأيام الله مع الطائعين والعاصين: «وليس الغرض من سردِ هذه القصص في القرآن الكريم الاطلاع عليها والتعرّف على جزئياتها فحسب، بل الغرض الأساسي والحقيقي هو أن ينقل ذهن القارئ والسامع إلى شناعة الشرك والمعاصي، ومعاقبة الله تعالى عليها، والإيمان بنصر الله تعالى وتأييده، وظهور ألطافه وأفضاله في حقّ عباده المخلصين»[٢].

المقصد الخامس: التذكير بالموت وما بعده، أو التذكير بالآخرة (مقصد المعاد):

بيَّن الدِّهْلَوي المراد بهذا المقصد القرآني وذكر موضوعاته التي يحتوي عليها، فقال: «والمراد بالتذكير بالموت وما بعده أو التذكير بالآخرة وعرض كيفية الإنسان لدى موته، وعجزه واستكانته في تلك الساعة الحرجة العصيبة، وعرض الجنة والنار عليه بعد الموت، وظهور ملائكة العذاب لعينيه، وأشراط

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٦٦.

(٢) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٦٦.

القيامة، من نزول سيدنا عيسى، ونفخة القيام والنشر والحشر، والسؤال والجواب والميزان والصراط، وأخذ صحائف الأعمال بالأيمان والشمائل، ودخول المؤمنين الجنة وحشر الكفار في النار، وتخاصم أهل النار تابعيهم ومتبوعيهم، وسادتهم وكبرائهم، وعامتهم وضعفائهم، وإنكار بعضهم بعضًا، ولعن إحداهم الأخرى، واختصاص المؤمنين برؤية الله تعالى، وذِكر أنواع العذاب، وتعداد ألوانه وأطواره؛ من سلاسل وأغلال وحميم وغساق وضريع وزقوم، وبيان أنواع النعم والـمَلَذَّات من حُور وقُصور وجنّات وأنهار، ومطاعم هنيئة شهيَّة، وملابس زاهية ناعمة، وغِيد حسان مقصورات في الخيام، ومجالس أهل الجنة الفكهة اللطيفة ولقاءاتهم الطيبة الحبيبة، كلّ هذا مما قد قصَّه القرآن الكريم وبثَّه في مختلف السور مراعيًا أساليبها الخاصّة المتفردة؛ تارة بالإجمال والاختصار، وأخرى بالتفصيل والإسهاب»[(١)].

ثالثًا: التفسير الظاهري والباطني وعلاقتهما بمقاصد القرآن وعلومه عند الدِّهلَوي:

تكلّم الدِّهْلَوي في التفسير الظاهري والباطني كما تكلّم عنهما الطبري والغزالي وابن العربي، وكان لهذين النوعين من التفسير أثر في البحث

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٧٠-٧١.

المقاصدي القرآني؛ فقد جعل الغزاليُّ علمَ مقاصد القرآن تحت التفسير الباطني للقرآن ضمن علوم اللباب، وذكر أنَّ مقاصد القرآن التي ذكرها كلّها تدخل في التفسير الباطني، وأمّا التفسير الظاهري فأدخله الغزالي في علوم القِشْر التي هي دون علوم اللُّباب في المرتبة كما سبق بيان ذلك.

والدِّهْلَوي ذكر الكلام عن التفسير الظاهري والباطني في الفصل الخامس من الباب الرابع، فذكر الحديث المشهور فيهما، كما ذكره المتقدّمون؛ كالطبري والغزالي وابن العربي، وذكر أنَّ مقاصد القرآن لها التفسير الظاهري والتفسير الباطني؛ فالتفسير الظاهري لمقاصد القرآن الخمسة عند الدِّهلَوي، هو: أن تفسر الآيات والسور الواردة في هذه المقاصد بمدلولها ومنطوقها، أي: بما يظهر من معاني الألفاظ على ما تعرفه العرب في هذه الألفاظ والعبارات في لغتها الفصحى وسليقتها المعهودة.

يقول الدِّهلَوي في تعريف التفسير الظاهري والباطني: «وأمّا مطلع الظَّهْر: فهو معرفة لغة العرب والآثار المتعلقة بعلم التفسير، ويراد بمطلع البَطْن: حِدَّة الذِّهْن ولُطفه واستقامة الفهم وسداده، مع نور الباطن وسكينة القلب، والله أعلم»[(١)].

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص١٩٧.

والتفسير الباطني لمقاصد القرآن كما يدلّ عليه كلام الدِّهلَوي، هو ما وراء هذه المعاني اللغوية العربية الدلالية من غايات ومآلات ومقاصد، وذلك يختلف حسب آحاد هذه الموضوعات المقاصدية، يقول الدِّهْلَوي: «ورد في الحديث الشريف: (**أُنْزِل القرآن على سبعة أحرف، لكلّ آية منها ظهر وبطن، ولكلّ حدٍّ مطلع**). فينبغي أن يعلم أن ظهر هذه العلوم الخمسة هو ما يسمى بمدلول الكلام ومنطوقه، أمّا بطنه في باب التذكير بآلاء الله: فهو التفكير والتأمل في آلاء الله ونعمه وآيات قدرته، ومراقبته -عزّ شأنه-، وبطن التذكير بأيام الله تعالى: معرفة مناط المدح والذمّ والثواب والعذاب من تلك القصص التي تَرِد فيه، والاتعاظ بها، وأخذ الدروس والعبر منها، وبطن التذكير بالجنة والنار ظهور الخوف والرجاء، واستحضارهما وتصورهما حتى كأنها رأي العين، وبطن آيات الأحكام: استنباط الأحكام الخفية الدقيقة بالفحاوى والإيماءات. وبطن الجدل القرآني مع الفِرَق الضالة الباطلة: الاطلاع على حقيقة تلك القبائح والفظائع التي وصفوا بها، وإلحاق نظائرها وأشباهها بها»[(١)].

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص١٩٧.

رابعًا: مصطلح (غرائب مقاصد القرآن الخمسة) عند الدِّهْلَوي:

بعد أن ذكر الدِّهْلَوي في الفصل الأول من كتابه: (الفوز الكبير في أصول التفسير) أنَّ مقاصد القرآن خمسة، ذكر في الفصل الأخير من الكتاب أنَّ لكلّ مقصد من هذه المقاصد الخمسة غرائب، ويقصد الدِّهلَوي بـ(الغرائب): الآيات والسور الجامعة لبعض موضوعات القرآن ومقاصده في آحاد هذه المقاصد كلّ على حِدَة بصورة بليغة تجمع عناصر هذا الموضوع وتوجزها.

ومصطلح غرائب القرآن عند الدِّهْلَوي يشبه مصطلح (مفردات القرآن) عند السيوطي في الإتقان، وهو اصطلاح انفرد به عن الزركشي إلا أنَّ أصل الموضوع ورَدَ عند الزركشي في نوع (أفضل القرآن وفاضله)، إلا أنَّ السيوطي لم يبين مراده بهذا المصطلح، ولا صدَّره بتعريف كعادته في أغلب مصطلحات علوم القرآن في كتابه الإتقان.

وذكر الدكتور حازم سعيد حيدر أنَّ لمصطلح (المفردات) إطلاقات كثيرة، ومقصود الجلال السيوطي بهذا المصطلح أنَّ (مفردات القرآن): «هي ما يقابل المجموع أو المزدوج، ويعني بها: آيات اختصت بمعنى غلب عليها، بحيث يمنع هذا المعنى الاختلاط مع معانٍ أُخَر»[(١)].

(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان، للدكتور حازم سعيد حيدر، ص٤٤٢.

وهذا التعريف حسن إلا أنه يمكن تعريف مصطلح (مفردات القرآن) أو (غرائب القرآن) بتعريف أحسن مما ذكره الدكتور حازم سعيد، وهو: المفردات القرآنية أو الغرائب القرآنية هي السور والآيات الفريدة التي فاقت أقرانها في عرضِ بعض المواضيع التي اشتركت فيها بصورة جامعة مميزة لا تجد مثلها في غير تلك الآية أو السورة مثل موضوع التوحيد، فإنَّ السور القرآنية تحدّثت عن توحيد الله تعالى بأنواعه المعروفة؛ إلا أنَّ سورة الإخلاص جمعت جميع مواضيع التوحيد وأنواعه فهي من مفردات القرآن وغرائبه في مبحث التوحيد، ومثلها آية الكرسي، إلا أنها مثالٌ للآية، وسورة الإخلاص مثالٌ للسورة، وهكذا سائر المواضيع القرآنية لكلّ منها فريدة أو غريبة لا تجد مثلها في موضوعها.

وقد قسَّم الدِّهْلَوي غرائب القرآن إلى قسمين:

القسم الأول: غرائب مقاصدية: فمقصد (الأحكام) فيه غرائب، أي: الآيات التي جمعت تحتها الأحكام الكثيرة النافعة.

ومقصد (التذكير بآلاء الله) وهو مقصد التوحيد، فيه آيات وسور جامعة لآحاد هذا المقصد، ومثَّل لها الدِّهلَوي بآية الكرسي وسورة الإخلاص وآخر سورة الحشر وأول سورة غافر. ومقصد (التذكير بأيام الله) وهو مقصد القصص، فيه آيات وسور جامعة، ومثَّل لها الدِّهلَوي بالقصص النادرة الجلية التي تكثر فيها الفوائد ومظنّات اعتبارات كثيرة.

ومقصد (التذكير بالموت) وهو مقصد المعاد، فيه سور وآيات جامعة له، ومثَّل لها الدِّهلَوي بثلاث سور، وهي: سورة التكوير، والانفطار، والانشقاق. كما ورد بذلك الحديث عن النبي ﷺ. ومقصد (الجدل) فيه آيات وسور جامعة بليغة، وهي التي يرِد فيها الجواب على طريقة غريبة بليغة، يقطع الشُّبَه ويدحض الباطل بأبلغ الوجوه وأقوى الأساليب، أو يبين حال فريق من تلك الفرق بمثال حسيّ واضح... إلخ[(١)].

القسم الثاني: غرائب بلاغية: يقول الدِّهلَوي عن الغرائب البلاغية: «وليست الغرائب القرآنية مقصورة على هذه الأبواب المذكورة، بل قد تكون الغرائب أحيانًا من الوجهة البلاغية العالية، وجمال الأسلوب وأناقته: مثل سورة الرحمن؛ ولذلك سميت في الحديث الشريف بعروس القرآن. وأحيانًا أخرى من جهة التصوير للشقي والسعيد وتجسيد حالتيهما»[(٢)].

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص١٩٣-١٩٤.

(٢) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص١٩٣-١٩٥.

المطلب الثاني: جهود عبد الله بن فودي (ت:١٢٤٦هـ) في مقاصد القرآن وموضوعاته:

أولًا: مقاصد القرآن عند العلّامة عبد الله بن فودي:

حاول العلّامة عبد الله بن فودي استخراج مقاصد القرآن وموضوعاته من القرآن الكريم، وقد ذكر أنَّ القرآن يحتوي على خمسة موضوعات رئيسة تمثِّل مقاصده التي يسعى إلى تحقيق وجودها ومعرفة الخلق لها، والعمل بها، وهذه الموضوعات الخمسة، هي:

١- أمر المبدأ.

٢- أمر المعاد.

٣- أخبار القرون الخالية (القصص).

٤- المنافع الدينية.

٥- المنافع الدنيوية.

يقول العلّامة عبد الله بن فودي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[يس: ٦٩]: «﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾: الكلام الموزون المتوخّى به التخييلات المرغّبة والمنفّرة ونحوهما؛ لأنَّ ما آتاه كلامٌ مشتمل على أمر المبدأ، والمعاد، وأخبار القرون الخالية، متضمنٌ للمنافع

الدينية والدنيوية، على أسلوبٍ أفحَمَ كلَّ شاعرٍ مِنطيق، فهو ردٌّ لقولهم أنَّ ما أتى به شعرٌ»[(١)].

ويؤكّد العلّامة عبد الله بن فودي أنَّ القرآن فيه ما يحتاج الناس من منافع الشرع الدينية والدنيوية[(٢)]. ويستنبط كذلك أنَّ مقصد المنافع الدنيوية في القرآن تابع لمقصد المنافع الدينية؛ لأنَّها مُعِينَة على تحصيل مقصد المنافع الدينية، وليس مقصدًا أصليًّا خادمًا لذاته، بل هو وسيلة إلى مقصد أعظم منه؛ وهو أن يستعين المسلم بالمنافع الدنيوية في تحصيل المنافع الدينية أو الأخروية، يقول عبد الله بن فودي عند قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧]: «تلك النِّعَم إذا جاءت من حيث لا تحسب، وذلك أدعى إلى الشكر، وفيه دليل على أنَّ طلب منافع الدنيا إنَّما هو ليُستعان بها على أداء العبادات وإقامة الطاعات»[(٣)].

(١) انظر: ضياء التأويل في معاني التنزيل، عبد الله بن فودي، (٤/ ٩).

(٢) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (٤/ ٢٣).

(٣) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (٢/ ٢٠٣).

وقد استنبط العلّامة عبد الله بن فودي من خلال الآية السابقة استنباطًا رائعًا وجميلًا، وهو أنَّ إبراهيم عليه السلام قد فطن إلى أنَّ الإنسان لا يمكن له أن يتمتع بعبادة الله تعالى ويؤدي حقّ الله الذي عليه، وهو في ضيق وحرج ونكد من العيش؛ فدعا اللهَ لأهله وذريته وبلده أن يرزقهم اللهُ من الثمرات والجماعات التي تجلب لهم الرزق من كلّ فج عميق، كما قال تعالى في آية أخرى بيانًا لاستجابة دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾[القصص: ٥٧].

ويؤكد العلّامة عبد الله بن فودي أنَّ مقاصد القرآن الخمسة التي سبق ذكرها في نص كلامه -وهي: مقصد المبدأ، ومقصد المعاد، ومقصد أخبار القرون الخالية (القصص)، ومقصد المنافع الدينية، ومقصد المنافع الدنيوية- كلها جاءت لمصالح العباد وكمالهم في المعاش والمعاد، فيقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[النساء: ١٦٦]: «استئناف يؤكد شهادته، أي: عالمًا به، كما إذا رأيت فعلًا متقنًا تقول: فعله بعلم، أو عالمًا بأنّك أهل لذلك، أو أنزله ملتبسًا بعلمه بمصالح العباد، أي: مشتملًا على بيانها أو محفوظًا من الشيطان»[(١)].

(١) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (١/ ٢٢٠).

ويقول عبد الله بن فودي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[الكهف: ١]: «القرآن، رتّب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيهًا على أنَّه أعظم نعمائه؛ لأنَّه الهادي إلى ما فيه كمال العباد وصلاح المعاش والمعاد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا ...﴾ [الكهف: ١، ٢] مستقيمًا لا زيغ فيه إلى الباطل ولا تفريط ولا إفراط، أو قيمًا بمصالح العباد، فيكون وصفًا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال»(١).

ومن الموضوعات المقاصدية التي وردت عند العلّامة عبد الله بن فودي؛ بيانه لمقاصد القصص في القرآن؛ حيث ذكر أنَّ القصص القرآنية مسوقة لخدمة أربعة مقاصد، وهي:

١- بيان المصلحة الدينية في سياق تلك القصة.

٢- بيان المصلحة الدنيوية في سياق تلك القصة.

٣- تحذير الكفار من الاقتداء بأحوال مَن سيقت فيهم القصة.

٤- تسلية النبي ﷺ وقومه بهذه القصص القرآنية(٢).

---

(١) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (٣/ ٢).

(٢) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (٢/ ٢١).

وقد توقف عبد الله بن فودي -كذلك- عند بيان إحكام القرآن وتفصيله، كما وصفه اللهُ به في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١]، فذكر اختلاف المفسرين في المراد بكون القرآن محكمًا في هذه الآية، وقد أورد في ذلك ستة أقوال[(١)]:

القول الأول: وُصِفَ القرآن بالإحكام؛ لأنَّ آياته وسوره نُظِمَت نَظمًا مُحكَمًا، عجيب اللفظ بديع المعنى، لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى.

القول الثاني: وُصِفَ القرآن بأنه مُحْكَم لمنع وقوع الفساد فيه أو نسخه بكتاب آخر، مأخوذ من: (حَكَمتُ الدَّابة؛ إذا مَنعتُها).

القول الثالث: المراد بالإحكام خاصّ بهذه السورة، أي: آيات سورة هود محكَمة لأنه ليس فيها منسوخ؛ لكونها في التوحيد وصحة النبوّة والمعاد وأحواله، وكلّها من الموضوعات التي لا يدخلها النسخ.

القول الرابع: إحكام القرآن كان بسبب الحجج والبراهين الموجودة فيه.

القول الخامس: القرآن محكم؛ لأنه اشتمل على الحِكم النظرية والعملية.

القول السادس: القرآن أُحْكِمَ بالأمرِ والنَّهي[(٢)].

---

(١) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (٢/ ١٢٩).

(٢) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (٢/ ١٢٩).

وأمّا تفصيل القرآن، فقد ذكر العلّامة عبد الله بن فودي أنَّ وَصْف القرآن بالتفصيل يحتمل أربعة احتمالات، وهي:

الأول: فُصِّلَ القرآن بالفوائد؛ من العقائد، والأحكام، والمواعظ، والأخبار.

الثاني: فُصِّل القرآن بسبب تقطيعه وجعله سورة سورة وآية آية.

الثالث: فُصِّل القرآن في النزول؛ حيث فُرِّق منجّمًا مفرَّقًا على النبي محمد ﷺ في أزمنة مختلفة.

الرابع: فُصِّل القرآن بالوعد والوعيد، أو بالثواب والعقاب[(١)].

والذي نستخلص من تفسير العلّامة عبد الله بن فودي لهذه الآية أنَّ القرآن مشتمل على الموضوعات والمقاصد التي كان بسببها مُحكَمًا مُفَصَّلًا، ومع اختلاف العلماء في تفسير هذا الإحكام والتفصيل القرآني، فيمكن أن نستنتج أنَّ الموضوعات والمقاصد ووسائل التعبير عنها متداخلة، لا يمكن انفصال بعضها من بعض، وهي المقاصد والموضوعات والمعاني الشريفة الجامعة التي اشتمل عليها القرآن، وهي على الجملة تكمن في عشرة مقاصد أو موضوعات أو وسائل، وهي:

(١) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (٢/ ١٢٩).

١- العقائد. ٢- الأحكام. ٣- المواعظ. ٤- الأخبار أو القصص. ٥- الوعد (الثواب). ٦- الوعيد (العقاب). ٧- النبوّة والدلائل الدالة عليها. ٨- المعاد وأحواله. ٩- الأمر. ١٠- النهي.

ثانيًا: التفسير التطبيقي لمقاصد الشريعة عند العلّامة عبد الله بن فودي:

إن توظيف علم مقاصد الشريعة في تفسير آيات القرآن الكريم لم يكن كثيرًا عند أكثر المفسرين كما يظهر لمَن تأمل أكثر ما أُلِّف فيه، وذلك أنَّهم اهتموا ببيان معاني الألفاظ القرآنية من ناحية اللغة والبلاغة والأحكام، وقليل منهم تعرّضوا لبعض مسائل علم المقاصد وراعوها عند بيان معاني الآيات، ومن الذين استخدموا علم مقاصد الشريعة عند تفسير آيات القرآن الكريم العلّامة عبد الله بن فودي الصكتي النيجيري المتوفى سنة: ١٢٤٦هـ، فقد استنبط من الآيات القرآنية دلالات واضحة على مباحث علم مقاصد الشريعة ومسائله، وصاغ منها قواعد مقاصدية استخدمها الفقهاء الأصوليون المقاصديون مِن قبله في مؤلفاتهم الفقهية والأصولية والمقاصدية، وهو بهذا الصنيع قد سبق العلّامة المقاصدي الطاهر بن عاشور في توظيف علم مقاصد الشريعة في التفسير بأكثر من قرن، إلا أنَّ شهرة الأخير واهتمام الباحثين بتفسيره (التحرير والتنوير) قد طغى على ما اشتمل عليه تفسير (ضياء التأويل في معاني التنزيل) من مباحث ومسائل وقواعد علم مقاصد الشريعة.

ويُعَدُّ العلّامة عبد الله بن فودي من مفسري القرآن الكريم في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي؛ فمن التفاسير التي أُلِّفت في ذلك العصر عند المفسرين المشرقيين: تفسير الإمام الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير»، ومن التفاسير المغربية الأفريقية التي أُلِّفت في هذا القرن أيضًا غير تفسير «ضياء التأويل في معاني التنزيل» =تفسير ابن عجيبة الفاسي (ت:١٢٢٤هـ) المسمى بـ: «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد».

وقد جَمَعَت هذه التفاسير بين طياتها فوائد علم التفسير ونُكَته الفريدة ولطائفه العذبة، إلا أنَّ الباحثين المتخصصين وغيرهم في ميدان التفسير لم يصرفوا اهتمامهم بدراسة هذه التفاسير من حيث مناهج أصحابها وأساليبهم في التفسير، ولم يتعرفوا على آلياتهم التي يوظّفونها عند بيان معاني الآيات القرآنية، ولم يقفوا كذلك على العلوم التي استخدموها عند استنباط معاني القرآن، ومنها علم مقاصد الشريعة وقواعده، ومن هذه التفاسير تفسير «ضياء التأويل في معاني التنزيل» للعلامة عبد الله بن فودي، وهو من المفسّرين الذين نشطوا في علم التفسير وأصوله وعلوم القرآن في الشمال الأفريقي، في نيجيريا بالذات، وقد طالَع الباحثُ هذا التفسير ولاحظ اهتمام مؤلِّفه بتوظيف علم مقاصد الشريعة عند بيان معاني الآيات القرآنية، فعثر على جملة كثيرة من الأمثلة التطبيقية التي وظَّف فيها العلّامة عبد الله بن فودي فِكره في تفسير آيات القرآن الكريم معتمدًا

على مسائل علم مقاصد الشريعة، مثل: الكليات الخمس (حفظ الدين، والنفس، والعِرض، والعقل، والمال)، ومباحث المصلحة والمفسدة، ومباحث في تعليل الأحكام، ومباحث في اختلاف الأحكام لاختلاف المقاصد والأحوال والأشخاص، ومباحث في رفع الحرج، والمقاصد الجزئية لبعض الأحكام التشريعية... إلخ.

وقد عزم الباحث على نشرِ جميع ما ورد من توظيف علم مقاصد الشريعة في تفسير القرآن الكريم عند العلّامة عبد الله بن فودي في تفسيره «ضياء التأويل» في بحث مستقلّ في وقت لاحق، لكن قبل نشر هذا البحث كاملًا، يمكن أن نعطي للقرّاء بعض النماذج التطبيقية للتفسير المقاصدي في مقصد التشريع عند ابن فودي، ونختار من بين مباحث علم مقاصد الشريعة مبحثين عظيمين، وهما: مبحث الكليات الخمس، ومبحث فقه المصالح والمفاسد، على النحو الآتي:

النموذج الأول: استنباط حفظ الشريعة للكليات الخمس عند العلّامة عبد الله بن فودي:

ذكر ابن فودي أنَّ الأمر بكتابة الدَّين والإشهاد عليه من باب حفظ المال والدّين، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[البقرة: ٢٨٢]، يقول عبد الله بن فودي عند تفسير هذه الآية: «...ولمّا ذكر اللهُ ندب الإشهاد والكتب لمصلحة حفظ الأموال والأديان عقّب ذلك بحال الأعذار المانعة من الكتب، وجعل بدله الرهن؛ ونصَّ على السفر لأنّه الغالب من الأعذار، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾[البقرة: ٢٨٣]»[(١)].

وكذلك استنبط العلّامة عبد الله بن فودي أنَّ اللهَ قد أوصى عبادَه في القرآن بحفظ النفس والمال؛ لأنه رحيم بعباده في هذه الوصية المحتمة الحكيمة، فقال عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٢٩]: «بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها أيًّا كان في الدنيا أو في الآخرة، ووصيته إياكم بحفظ المال

(١) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (١/ ١١٢-١١٣).

والنفس رحمة منه لكم كما أشار إليه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾[النساء: ٢٩] حيث بيّن لكم الأحكام وشرعها على وجه السهولة ولم يكلفكم ما لا تطيقون»[(١)].

النموذج الثاني: استنباط فقه المصالح والمفاسد عند تفسير القرآن عند عبد الله بن فودي:

الأحكام التشريعية التي أمر الله بها هي أحكام غالبة المصالح مع ما فيها من مفسدة في نظر الإنسان القاصر؛ لذا تجب المبادرة إلى فعل المأمور لأنه غالب المصلحة، وهذا هو ما استنبطه العلّامة عبد الله بن فودي من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١٦]، يقول عبد الله بن فودي عند تفسير هذه الآية: «ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به، وفيه دليل على أنَّ الأحكام تتبع المصالح الراجحة وإن لم تُعرف عينها»[(٢)].

(١) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (١/ ١٧٧).

(٢) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (١/ ٨٢).

وأمّا اهتمامه ببيان فقه المفاسد في الشريعة؛ فيظهر ذلك واضحًا في تفسير آية الخمر في سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[المائدة: ٩٠]، قال ابن فودي: «تدركون الفلاح، واعلم أنَّ اللهَ أكّد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بأمور: أنْ صدَّر الجملة بـ(إنَّما)، وقرنهما بالأصنام والأزلام اللذَيْن هما من أمارات أهل الأوثان، وسمّاهما رجسًا، وجعلهما من عمل الشيطان، وأمَر باجتنابهما، وجعله سببًا يُرجى به الفلاح، ثم قرَّر ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾[المائدة: ٩١]، إذا أتيتموهما لِمَا يحصل فيهما من الشر والفتن، أفردهما بالذِّكر تنبيهًا على أنّهما المقصود بالبيان؛ إذ الكلام مع المؤمنين وهم لا يتعاطون الأنصاب والأزلام، فذكرهما أولًا للدلالة على أنَّ الخمر والميسر مثلهما في الشر، لقوله عليه السلام: «شارب الخمر كعابد الوثن»، وشارب الخمر تُزيل عقله، فيتكلم بالفُحش وربما أفضى إلى المقاتَلة فيسبب العداوة والبغضاء، والميسر يسبب أن يَقمُر الرجل على أهله وماله؛ فيقعد حزينًا سليبًا ينظر ماله في يد غيره، فيورث العداوة والبغضاء، فهذه من مفاسدهما في الدنيا. وأشار إلى مفاسدهما في الدين بقوله: ﴿وَيَصُدَّكُمۡ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الذي يحيي به القلوب، ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ التي هي عماد الدين؛ خصهما

بالذِّكر تعظيمًا لهما، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، أبلغ من (انتهوا)؛ لأنَّ العاقل إذا تأمل ما سبق من الأوصاف ارتدع لا محالة، كأنَّه قال: قد تلي عليكم ما فيهما من المفاسد فبعد هذا البيان هل أنتم منتهون أم لا؟ إيذانًا بأنّ الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية، وأنَّ الأعذار قد انقطعت»[(١)].

ومن القواعد المقاصدية التي استنبط عبد الله بن فودي أصلها من القرآن قاعدة: (دَفْع المفاسد أهمّ من جَلْبِ المصالح)، فيقول ابن فودي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأنعام: ١٧]: «...وقدَّم الشرَّ على الخير؛ لأنَّ دفع المفاسد أهم من جلبِ المصالح، فينبغي دوام التذكّر بمعنى الآية: من أنَّ الأشياء كلّها بيد الله، إنْ ضَرَّ فلا كاشف لضرِّه، وإنْ أصاب بخير فكذلك...»[(٢)].

ومِن تلكم القواعد المقاصدية التي استنبطها ابن فودي أيضًا قاعدة: (الطاعة إذا أدَّتْ إلى معصية راجحة وجب تركها؛ فإنَّ ما يؤدي إلى الشرِّ شرٌّ)، يقول ابن فودي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

(١) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (١/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٢) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (١/ ٢٦٧).

﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾[الأنعام: ١٠٨]: «بمن يليق به السبّ، وفيه دليل على أنَّ الطاعة إذا أدَّتْ إلى معصية راجحة وجب تركها؛ فإنَّ ما يؤدي إلى الشرِّ شرٌّ، قال ابن العربي في الأحكام: تعلَّق علماؤنا بهذه الآية في سد الذرائع، وهي: كلّ جائز في الظاهر يمكن أن يوصل إلى المحظور. اهـ، ودلَّ هذا أنَّ المُحِقَّ يَكُفُّ عن حَقِّه إنْ أدَّى إلى ضرر ديني إن كان الحقّ جائزًا، وأمّا إن كان واجبًا فلا يتركه إلّا لأعظم منه»[(١)].

(١) انظر: ضياء التأويل، عبد الله بن فودي، (١/ ٢٩١).

المطلب الثالث: جهود محمد بن عليّ الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) في مقاصد القرآن وموضوعاته:

أولًا: التعريف بكتاب الإمام الشوكاني في علم مقاصد القرآن (إرشاد الثقات):

إنَّ الإمام الشوكاني ممن ألَّف كتابًا مستقلًّا في علم مقاصد القرآن وسمَّاه بـ(إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات)، وقد صرح الإمام الشوكاني في آخر الكتاب بتاريخ تأليفه ونسبه إلى نفسه فقال: «وبمجموع ما ذكرناه تقرّر اتفاق الشرائع جميعها على إثبات تلك المقاصد الثلاثة وهو المطلوب، والحمد لله أوّلًا وآخرًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه. كان الفراغ من تحرير هذا المختصر يوم الأربعاء لعلّه السابع والعشرون من شهر ربيع الآخر من شهور سنة إحدى وثلاثين بعد المائتين والألْف، بقلم مؤلفه المفتقر إلى رحمة الله ومغفرته ورضوانه محمد بن عليّ الشوكاني غفر الله لهما»[(١)].

وقد استخدم الإمام الشوكاني مصطلح (مقاصد القرآن) في هذا الكتاب كثيرًا، مما يدلّ على أنَّه استفاد مما كتبه غيره من العلماء المتقدمين في الكلام

(١) انظر: إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني، ص٦٩.

عن مقاصد القرآن، وقد طبع هذا الكتاب عام: ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ، بدار الكتب العلمية ببيروت.

وقد أكَّد الإمام الشوكاني في هذا الكتاب أن مقاصد الكتب السماوية ثلاثة مقاصد، وهي:

١. التوحيد.

٢. المعاد.

٣. النبوّات.

وبيَّن أنَّ مقصده من تأليف هذا الكتاب بيان اتفاق الكتب الإلهية على هذه المقاصد الثلاثة، يقول الإمام الشوكاني: «ولما كانت هذه الثلاثة المقاصد مما اتفقَت عليه الشرائع جميعًا -كما حكى ذلك الكتاب العزيز في غير موضع- أحببتُ أن أتكلم هاهنا على كلّ مقصد منها، بإيراد ما يوضِّح ذلك من الكتب السابقة، وعن الرسل المتقدمين، مما يدلّ على اتفاق أنبياء الله وكتبه على إثباتها، لِمَا في ذلك من عظيم الفائدة وجليل العائدة، فإنَّ مَن آمَنَ بها كما ينبغي، واطْمَأَنَّ إليها كما يجب، فقد فاز بخيري الدارين وأخذ بالحظ الوافر من السعادة الآجلة والعاجلة ودخل إلى الإيمان الخالص»[(١)].

(١) انظر: إرشاد الثقات، الشوكاني، ص٤.

لقد ظهر غرض الإمام الشوكاني في تأليف هذه الرسالة المقاصدية، وهو أنه لمّا رأى اتفاق الشرائع السماوية على هذه المقاصد الثلاثة عزم على بيان المقصود من هذه المقاصد على مقتضى ما ورد في القرآن الكريم، مع الإشارة إلى ما ورد في الكتب السماوية المتقدّمة على القرآن من بيان هذه المقاصد الثلاثة، فإنها مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة، وبفهمها يفوز العباد برضوان الله تعالى وجنته في الآخرة.

ثانيًا: مقاصد القرآن وموضوعاته عند الإمام الشوكاني ومنهجه في استنباطها:

كما سبق قبل قليل عند ذكر تسمية كتاب الإمام الشوكاني لكتابه في علم مقاصد القرآن ظهر أنَّ مقاصد القرآن وموضوعاته عند الإمام الشوكاني ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: التوحيد.

المقصد الثاني: المعاد.

المقصد الثالث: النبوّات.

وقد صرَّح الإمام الشوكاني بأنَّ هذه الثلاثة هي مقاصد القرآن، وأنَّ القرآن قد استدلّ عليها بالأدلة الحسيّة والعقلية في أغلب سوره وآياته، يقول الشوكاني: «وأمّا مقاصد القرآن الكريم التي يكرّرها ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها ويشير إليها في جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله فهي ثلاثة مقاصد، يَعرف

ذلك مَنْ له كمال فهم وحسن تدبّر وجودة تصوّر وفضل تفكّر؛ المقصد الأول: إثبات التوحيد. المقصد الثاني: إثبات المعاد. المقصد الثالث: إثبات النبوّات»[(١)].

وذهب الشوكاني إلى أنَّ هذه المقاصد قد أقرّت بها جميع الكتب والشرائع والرسل، وكلام القرآن الكريم عن هذه المقاصد من خلال السور والآيات لا يمكن إحصاؤه؛ لأنَّ القرآن مشحون ببيان هذه المقاصد الثلاثة، ولا يحتاج الإنسان إلى كبيرِ جهدٍ في الاستدلال عليها[(٢)].

وتحدّث الشوكاني عن هذه المقاصد بنوع من التفصيل، ونلخّص ما ذكره عن كلّ مقصد من هذه المقاصد الثلاثة كما يأتي:

١. المقصد الأول: التوحيد:

ذكر الشوكاني في الفصل الأول من الكتاب المذكور، أنَّ التوحيد دِين العالَم من أوله إلى آخره، وسابقه، ولاحقه، ومَن خالف في ذلك فجعل لله -عز وجل- شريكًا وعبَدَ الأصنام، فإنما جعل الشريك وَصْلَة إلى الرب سبحانه، ووسيلة إلى التقرب إلى الله، كما أرشد إليه القرآن حكاية عنهم: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ

(١) انظر: إرشاد الثقات، الشوكاني، ص٣-٤.

(٢) انظر: إرشاد الثقات، الشوكاني، ص٤.

ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٣]، وكما ثبت في صحيح السُّنة أنهم كانوا يقولون: «لبيك لا شريكَ لك، إلا شريكًا هو لك، تَمْلِكُه ومَا مَلَكَ»، يقول الشوكاني: «وبالجملة، فكُتُبُ اللهِ -عز وجل- بأسرها ورسله جميعًا متفقون على التوحيد والدعاء إليه، ونفي الشرك بجميع أقسامه»[١].

٢. المقصد الثاني: المعاد:

وأمّا مقصد المعاد؛ فقد ذكر الشوكاني أنَّه أفرده بالتأليف، حيث قال: «اعلم أنه قد سبق لي تأليف رسالة في هذا سميتها: (**المقالة الفاخرة في بيان اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة**)، ولمّا كان هذا هو أحد المقاصد الثلاثة التي جَمعتُ لها هذا المختصر؛ فإنَّ ذِكر بعض ما في كتب الله -عز وجل- مما يتعلق به لازم»[٢].

وخلاصة ما أكّده الشوكاني أنَّ هذا المعاد متّفق عليه في جميع الأديان والملل، وإنما شذَّ مَن شذَّ من أتباع هذه الأديان والملل بعض أفراد قلائل[٣].

(١) انظر: إرشاد الثقات، الشوكاني، ص٨.

(٢) انظر: إرشاد الثقات، الشوكاني، ص١٠.

(٣) انظر: إرشاد الثقات، الشوكاني، ص١٤.

٣. المقصد الثالث: النبوّات:

أكَّد الإمام الشوكاني في كتابه أنَّ النبوات -ويقصد بها البعثة ودعوة الرسل إلى الله- مما ثبت في جميع الكتب السماوية، ومن بين هذه النبوات نبوة خير الرسل وأفضلهم محمد ﷺ، وقد سرد الإمام الشوكاني لهذا المقصد أدلة كثيرة من الكتب السماوية المنزلة، ويعنينا هنا ما ذكره من أدلة القرآن في إثبات جميع النبوات بصفة عامة، ثم ما ذكره القرآن من إثبات نبوة محمد ﷺ قبل وقت مجيئه[(١)].

وأمّا عن منهج الإمام الشوكاني في الحديث عن هذه المقاصد القرآنية الثلاثة في كتابه فهو منهج واضح منظم؛ لأنَّه خصّص لكلّ مقصد فصلًا تحدث عنه: فبدأ بالحديث عن مقصد التوحيد؛ لأنَّه أُمّ المقاصد القرآنية كما سبق بيان ذلك في البحث الأول عن جهود المتقدمين في مقاصد القرآن. وأمّا منهجه في إيراد الأدلة الدالة على هذا المقصد، فهو معتمد على الإجماع والاتفاق الذي حصل في الاعتراف بالتوحيد على أيدي الرسل مع كثرة عددهم وما ورد في كتبهم المنزلة، وقد ذكر الشوكاني أنَّ كُتُب الله التي أثبتت هذا المقصد كلّها لم تصل إلينا إلا التوراة والزبور والإنجيل ونبوّات أنبياء بني إسرائيل[(٢)].

---

(١) انظر: إرشاد الثقات، الشوكاني، ص٢٥.

(٢) انظر: إرشاد الثقات، الشوكاني، ص٥.

وهكذا استمرّ الشوكاني يذكر ما في هذه الكتب الإلهية الباقية (التوراة والزبور والإنجيل) من بيان مقصد التوحيد ومحاربة ما يضادّه من الشرك وعبادة الأصنام والأوثان، ويمكن الاكتفاء بما ذكره الشوكاني من منهج التوراة في إثبات التوحيد ومحاربة الشرك دون الكتب الأخرى من الزبور والإنجيل ونبوّات العهد القديم الأخرى[١].

ولم يَستقْصِ الإمام الشوكاني الآيات القرآنية الدالّة على إثبات مقصد التوحيد ولم يذكرها؛ لأنه ذكر في مقدمة الكتاب أنَّ كلّ من يقرأ القرآن يعرف بنفسه أنَّ مقصد التوحيد وسائر المقاصد قد سردها القرآن بوضوح وبكثرة، بحيث لا تحتاج إلى الاستدلال أو الاستعراض؛ لذا لم يهتم بسردها في كتابه.

(١) انظر: إرشاد الثقات، الشوكاني، ص٥-٦.

المبحث الثاني: جهود العلماء في مقاصد القرآن في القرن الرابع عشر الهجري:

المطلب الأول: جهود جمال الدين القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) في مقاصد القرآن وموضوعاته:

أولًا: مقصد المُفسّر والتَّفسِير في نظر القاسمي:

إنَّ الشيخ جمال الدين القاسمي ممن أدلى بدلوه في تلمُّس مقاصد القرآن ومعرفة طرق الاهتداء به؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ٥٢]، وقد استفاد القاسمي من جهود مَن سبقه في بعض مسائل مقاصد القرآن؛ كالعِزّ بن عبد السلام، والإمام الشاطبي، والشيخ وليّ الله الدِّهلَوي، كما سيأتي الكلام على ذلك لاحقًا.

لقد كان للقاسمي نظرة جديدة للتفسير، تخالف نظرة كثير من المؤلفين في التفسير، حيث إنَّه يرى أنَّ كثيرًا من العلوم التي تضاف إلى التفسير ليست داخلة في مسمى هذا العلم لبُعدها عن مقاصد القرآن؛ لأنَّه ذهب إلى أنَّه ينبغي أن يكون مقصد التفسير والمفسِّر هو فهم مراد الله ومقصده من كلامه، ومعرفة حكمة التشريع في آحاد مقاصد القرآن، مثل: مقصد العقائد، ومقصد الأخلاق، ومقصد الأحكام؛ لذا قسَّم التفسير بهذا الاعتبار إلى قسمين:

القسم الأول: التفسير الذي يقصد به حلَّ الألفاظ وإعراب الجُمَل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النُّكَت الفنية، ذهب القاسمي إلى أنَّ

هذا لا يسمى تفسيرًا؛ لبُعده عن اللهِ وعن كتابه، وقال: وإنما هو ضربٌ من التمرين في الفنون؛ كالنحو والمعاني وغيرهما[(١)].

القسم الثاني: التفسير الجامع لشروط التفسير المعروفة المستعمل للغاية من التفسير الذي هو -كما قال القاسمي-: «فهم مراد القائل من القول وحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام؛ ليتحقّق فيه معنى قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾[الأعراف: ٥٢]، ونحوهما من الأوصاف، فالمقصد الحقيقيّ وراء كلّ تلك الشروط والفنون، هو الاهتداء بالقرآن، وهذا هو الغرض الأول الذي أرمي إليه في قراءة التفسير»[(٢)].

وقسَّم التفسير أيضًا باعتبار الاهتمام بمقاصد الآيات وعدم وجود ذلك إلى قسمين:

القسم الأول: التفسير النقلي: تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف؛ وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الآي.

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ٢٠٧).

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ٢٠٧).

القسم الثاني: التفسير اللغوي: والصنف الآخر من التفسير، وهو ما يرجع إلى اللسان؛ من معرفة اللغة والإعراب، والبلاغة، وتأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب. وهذا الصنف من التفسير قَلّ أن ينفرد عن الأول؛ إذ الأول هو المقصود بالذات، وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة(١).

وقد شَنَّع القاسمي على مفهوم التفسير عند بعض الناس في عصره ومِن قبل عصره بقرون، حيث يزعمون أنَّ التفسير هو: «عبارة عن الاطلاع على ما قاله بعض العلماء في كتب التفسير، على ما في كلامهم من اختلاف يتنزّه عنه القرآن: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢]»(٢).

ثم عاتَب القاسميُّ بعضَ علماء التفسير الذين لم يحاولوا بيان المقصود من التفسير، ومن الاطلاع على ما قيل وما روي في تفسير آيات القرآن ومعانيه، وتمنى أن يكون للتفسير معنى جديد مُعتمِد على بيان مقاصد التنزيل، وليس مجرد تفسير الكلمات والمعاني(٣).

---

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ١٢).

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ٢٠٧).

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ٢٠٧-٢٠٨).

ثانيًا: مقاصد القرآن عند الشيخ جمال الدين القاسمي:

ومع أنَّ جمال الدين القاسمي لم يصرِّح برأيه في عرض أنواع مقاصد القرآن -حسب ما وصل إليه بحثي- إلّا أنه نقل عن الشيخ محمد عبده من تفسيره أنه ذكَر أنَّ مقاصد القرآن خمسة، وهي:

١. **المقصد الأول**: التوحيد.

٢. **المقصد الثاني**: وَعْد مَن أخذ بالتوحيد، وتبشيره بالمثوبة، ووعيد من لم يأخذ به، وإنذاره بالعقوبة.

٣. **المقصد الثالث**: العبادة التي تحيي التوحيد في القلوب وتثبته في النفوس.

٤. **المقصد الرابع**: بيان سبيل السعادة وكيفية السير فيه الموصل إلى نعيم الدنيا والآخرة.

٥. **المقصد الخامس**: قصص مَن وَقَف عند حدود الله تعالى وأَخَذ بأحكام دينه، وأخبار الذين تعدّوا حدوده ونبذوا أحكام دينه ظِهْرِيًّا؛ لأجل الاعتبار، واختيار طريق المحسنين[(١)].

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ٢٣٦-٢٣٧).

ثم قال القاسمي بعد نقل هذه المقاصد الخمسة عن الشيخ محمد عبده: «هذه هي الأمور التي احتوى عليها القرآن، وفيها حياة الناس وسعادتهم الدنيوية والأخروية، والفاتحة مشتملة عليها إجمالًا بغير ما شكّ ولا ريب»[(١)].

فالقاسمي أكَّد بعد نقله لكلام الشيخ محمد عبده أنَّ مقاصد القرآن تدور حول خمسة مقاصد في الجملة، وهي: ١- التوحيد. ٢- والوعد والوعيد. ٣- والعبادة. ٤- وبيان سبيل السعادة وكيفية السير فيه. ٥- والقصص بنوعيه: التبشيري والإنذاري.

فمقاصد القرآن في نظر القاسمي والشيخ محمد عبده لا تخرج عما اعتبره العلماء السابقون مقصدًا قرآنيًّا؛ فآحاد هذه المقاصد الخمسة موجودة عند أبي حامد الغزالي وابن العربي وابن بَرَّجان الإشبيلي وفخر الدين الرازي وابن تيمية وابن جزي، وغيرهم.

وكذلك ذكَر القاسمي رأي أبي العباس بن سريج ورأي أبي حامد الغزالي ورأي ابن قيم الجوزية ورأي العز بن عبد السلام وولي الله الدِّهْلَوي في تقسيم مقاصد القرآن؛ كما سبق في البحث الأول عند الحديث عن جهودهم في الكشف عن مقاصد القرآن[(٢)].

---

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ٢٣٧).

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٩/ ٥٧١-٥٧٢).

المطلب الثاني: جهود محمود شكري الآلوسي (ت:١٣٤٢هـ) في مقاصد القرآن وموضوعاته:

أولًا: مصطلح مقاصد القرآن عند الآلوسي:

جَمع الآلوسي بين المصطلحات التي استخدمها مَن قبله في التعبير عن مقاصد القرآن، فورد عنده مصطلح (علوم القرآن)، ومصطلح (معاني القرآن)، ومصطلح (مقاصد القرآن)، وهذا المصطلح ذكره عند بيان فضل سورة (التكاثر) وأنها تعدل سدس القرآن أو ألْف آية من القرآن[١].

وكذلك نجد ذِكر مصطلح (مقاصد القرآن) كثيرًا عند الآلوسي عندما تعرّض لبيان فضل سورة (الكافرون)، فقد تكرّر ذكره كثيرًا في أنواع مختلفة حسب اختلاف العلماء في تحديد هذه المقاصد[٢].

ثانيًا: كلام الآلوسي عن مقاصد القرآن في تفسير سورة الفاتحة:

يقول الدكتور مسعود بودوخة: «تُعَدّ سورة الفاتحة أهم السور التي استوقفَت المفسّرين بحثًا عن أوجُه تضمُّنها لمقاصد القرآن ومعانيه، على اعتبار أنها أُمّ القرآن وفاتحته التي لا يجزئ عن قراءتها في الصلاة شيء من القرآن؛

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، (١٥/ ٤٥١).
(٢) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١٥/ ٤٨٥).

ولذلك نجد ما يشبه الإجماع عند العلماء على تضمُّنها عامّة مقاصد القرآن، وإن اختلف توجيههم لهذا التضمُّن»[(١)].

وقد فصَّل الآلوسي مقاصد القرآن التي تضمَّنتها سورة الفاتحة، وذلك عند عرضه لأسماء سورة الفاتحة، فحكى الآلوسي عن أحد العلماء أنَّ الفاتحة سميت بأُمّ القرآن لاشتمالها على مقاصد المعاني التي في القرآن، وهي على الجملة ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: الثناء على الله تعالى، ويدخل فيه معرفة الله بصفاته وأسمائه.

المقصد الثاني: التعبد بالأمر والنهي.

المقصد الثالث: الوعد والوعيد[(٢)].

وقد علَّل الآلوسي سبب اعتبار هذه الثلاثة مقاصد للقرآن، فقال: «وإنما كانت المقاصد هذه لأنّ بعثة الرسل وإنزال الكتب رحمة للعباد وإرشاد إلى ما يصلحهم معاشًا ومعادًا؛ وذلك بمعرفة من يقدر على إيصال النعم إيجادًا

(١) انظر: جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، الدكتور مسعود بودوخة، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، ص٩.

(٢) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١/ ٣٧).

وإمدادًا، ثم التوصل إليه بما يربط العتيد، ويجلب المزيد عملًا واعتقادًا، والتنصّل عمّا يفضي به إلى رجع المحصل ومنع المستحصل قلوبًا وأجسادًا، والثناء فرع معرفة المُثْنَى عليه مع الاستحقاق، وتدخل المعرفة بصفات الجلال والجمال، ومنها ما منه الإرسال والإنزال، والتفاوت بين المطيع والمذنب، فدخل الإيمان بالله تعالى وصفاته، والنبوّات، والمعاد على الإجمال، والتعبد يتمكن به من التوصل والتنصل، ويدخل فيه من وجه الإيمان بالنبوّات وما يتعلّق بها من الكتاب والملائكة إذ الأمر والنهي فرع ثبوت ذلك في الجملة، والوعد والوعيد يتضمنان الإيمان بالمعاد، ويبعثان على التعبد»[(١)].

وينقل الآلوسي نظرة رباعية أخرى في مقاصد سورة الفاتحة لا تختلف كثيرًا عن النظرة الثلاثية السابقة؛ إلا في إضافة مقصد الأخلاق، وهي أنَّ الفاتحة قد اشتملت على مقاصد القرآن والدّين، وهي على التفصيل أربعة مقاصد كما يأتي:

المقصد الأول: علم الأصول: ويشتمل هذا العلم كما ذكر الآلوسي على ثلاثة معارف؛ الأول: معرفة الله تعالى وصفاته. الثاني: معرفة النبوات. الثالث: معرفة المعاد.

(١) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١/ ٣٧).

المقصد الثاني: علم الفروع: وأُسُّه -كما ذكر الآلوسي-: العبادات؛ وهي بدنية ومالية، وهما مفتقران إلى أمور المعاش من المعاملات والمناكحات، ولا بدَّ لها من الحكومات لكي تتمهد الفروع على الأصول.

المقصد الثالث: علم ما به يحصل الكمال، وهو علم الأخلاق.

المقصد الرابع: علم القصص والإخبار عن الأمم السالفة السعداء والأشقياء وما يتصل بها من الوعد والوعيد[(١)].

ويشير الآلوسي إلى أنَّ تفصيل المقاصد القرآنية كما اشتملت عليها سورة الفاتحة يمكن أن يكون بأكثر من أربعة مقاصد، فيقول بعد أن ذكر المقاصد القرآنية الأربعة التي سبقت: «وإذا انبسط ذهنك أتيت بأبسط من ذلك، وهذان الوجهان يستدعيان حمل الكتاب على المعاني أو تقديرها في التركيب الإضافي»[(٢)].

(١) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١/ ٣٨).

(٢) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١/ ٣٨).

ثالثا: مقاصد القرآن عند شهاب الدين الآلوسي:

ذكر الآلوسي اختلاف العلماء والمفسّرين في تحديد أنواع المقاصد التي اشتمل عليها القرآن، وذكر في ذلك خمسة أقوال:

القول الأول: أن مقاصد القرآن ثلاثة؛ الأول: الثناء على الله تعالى بما هو أهله. والثاني: التعبد بالأمر والنهي. والثالث: الوعد والوعيد[(١)].

القول الثاني: مقاصد القرآن ستة، وهو قول الغزالي كما سبق ذكر تفاصيله وبيانه في البحث الأول[(٢)].

القول الثالث: أن مقاصد القرآن أربعة، وهو قول فخر الدين الرازي في تفسيره، وهي: علم الأصول، وعلم الفروع، وعلم تهذيب الأخلاق، وعلم القصص والإخبار عن الأمم السالفة[(٣)].

القول الرابع: مقاصد القرآن ثلاثة، وهي: التوحيد، والأحكام الشرعية، وأحوال المعاد[(٤)].

---

(١) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١/ ٣٧).

(٢) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١٥/ ٤٥١).

(٣) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١/ ٣٨).

(٤) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١٥/ ٤٨٥).

القول الخامس: مقاصد القرآن أربعة، وهي: صفات الله تعالى، والنبوّات، والأحكام، والمواعظ[(١)].

ثم ذكر الآلوسي اختياره فيما يصلح أن يكون مقاصد للقرآن وأقسامًا لدين الإسلام، فذهب إلى أنها أربعة مقاصد، وهي:

المقصد الأول: مقصد العبادات، ويدخل فيه أحوال المبدأ والمعاد.

المقصد الثاني: مقصد المعاملات.

المقصد الثالث: مقصد الجنايات.

المقصد الرابع: مقصد المناكحات[(٢)].

ونلاحظ على هذا التصنيف لمقاصد القرآن عند الآلوسي مع تحسينه له أنه لم يجمع جميع المقاصد القرآنية؛ ومنها مقصد التوحيد والعقائد على أهميته وكونه أُمّ جميع المقاصد الأخرى، ثم إنه يجعل الجنايات والمناكحات خارجة عن دائرة المعاملات مع أنَّ العلماء درجوا على تقسيم الأحكام الشرعية إلى عبادات ومعاملات فقط.

---

(١) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١٥/ ٤٨٥).

(٢) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١٥/ ٤٨٥).

المطلب الثالث: جهود الشيخ محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ) في مقاصد القرآن وموضوعاته:

إنَّ الشيخ محمد رشيد رضا ممن خاض في موضوع مقاصد القرآن وأدلى بدلوه فيها، وقد وجد الباحث كلامه عن المقاصد في كتابه: (الوحي المحمدي) وفي تفسيره: (تفسير المنار)، ولا يختلف كلامه عن المقاصد في هذين الكتابين إلا اختلافًا يسيرًا جدًّا حسبما تبيّن للباحث.

وقد استخدم السيد رشيد رضا مصطلح (مقاصد القرآن) بوضوح وكثرة في كتابه: (الوحي المحمدي) وفي تفسيره: (المنار)، مما يدلّ على إلحاحه في مناقشة هذا الموضوع وبيانه بخصائصه وموضوعاته وأنواعه المختلفة، وقد يلاحظ ذلك القارئ عندما يقرأ قوله في كتابه (الوحي المحمدي): «وإننا نقسّم هذه المقاصد إلى أنواع، ونبيّن حكمة القرآن وما امتاز به في كل نوع منها بالإجمال؛ لأنّ التفصيل لا يتم إلا إذا يسّر اللهُ لنا إنجاز ما وعَدْنا به من تفسير وبيان مقاصد القرآن كلها في أبواب، نبيّن في كل باب منها وجه حاجة البشر إلى ذلك المقصد، وكون القرآن وَفَّى بهذه الحاجة، بما نأتي به من جملة آياته فيه»[(١)]، وأحيانًا يستخدم الشيخ رشيد رضا مصطلح (فقه القرآن) بدل مصطلح (مقاصد القرآن)[(٢)].

---

(١) انظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص١٢٠.

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٢).

ولقد بيّن الشيخ رشيد رضا أنَّه ألّف كتابه: (الوحي المحمدي) لغرض أساسي وهو بيان كون القرآن كلام الله -عزّ وجلّ-، وأنه مشتمل على جميع ما يحتاج إليه البشر من الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي والمالي والحربي، وهي كلّها من مقاصد القرآن -كما اعتبرها الشيخ رشيد رضا- وبسبب عدم استفادة الخلق في هذا العصر بهذه الإصلاحات القرآنية في هذه المجالات وقعوا في مفاسد وفتن كثيرة.

وقد أشار إلى أنه بيَّن هذه المقاصد القرآنية جملة في مقدمة تفسيره: (المنار)، كما بيَّنها مفصلة في شرح وتفسير الآيات القرآنية في ذلك التفسير[(١)].

أولًا: اهتمام الشيخ رشيد رضا بمقاصد القرآن وبيان أهميتها عند تفسير القرآن:

لقد اشتكى السيد رشيد رضا من عدم اهتمام المفسرين بمقاصد القرآن حيث انصرفت عناية بعضهم إلى جمع الروايات المأثورة في التفسير، وإقبال بعضهم على العلوم الأخرى التي صرفتهم عن العناية بمقاصد القرآن، فبين أنَّ هناك حاجة ماسّة إلى تفسير يهتم بمقاصد القرآن.

(١) انظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص١٤.

يقول السيد رشيد رضا في بيان ما تقدّمت الإشارة إليه: «وغرضنا من هذا كلّه أن أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المُزَكِّيَة للأنفس، المُنَوِّرة للعقول، فالمُفَضِّلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات، التي لا قيمة لها سندًا ولا موضوعًا، كما أن المفضِّلين لسائر التفاسير لهم صوارف أخرى عنه كما تقدم، فكانت الحاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتّفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه، وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح»[(١)].

ولامَ رشيد رضا بعضَ العلماء؛ كالفخر الرازي وابن القيم اللذَين أطنبا في استنباط بعض المعاني في تفسير فاتحة الكتاب ولم يهتمَّا ببيان مقاصدها العليا، وأشار إلى أنَّ ذلك مما لا ينبغي أن يكون منهجًا للتفسير الذي ينبغي أن يكون بيانًا لمقاصد كلّ سورة، وكلّ آية في القرآن، لنهتدي بما أنزل الله من أجله القرآن[(٢)].

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١/ ١٠).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١/ ٨٤).

بل لقد بالغ السيد رشيد رضا ففسَّر الحكمة من قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[النساء: ١١٣]، بأنَّ المقصود بها: (فقه مقاصد القرآن وأسراره)، حيث قال في تفسير الآية: «الكتاب: القرآن، والحكمة: فقه مقاصد الكتاب وأسراره، ووجه موافقتها للفطرة وانطباقها على سنن الاجتماع البشري واتحادها مع مصالح الناس في كلّ زمان ومكان»[(١)].

ثانيًا: مقاصد القرآن عند الشيخ محمد رشيد رضا:

قسَّم الشيخ رشيد رضا مقاصد القرآن إلى قسمين:

القسم الأول: مقاصد القرآن في إصلاح البشر.

القسم الثاني: مقاصد القرآن في إصلاح المفاسد الاجتماعية الكبرى[(٢)].

فأمّا القسم الأول من المقاصد القرآنية عند الشيخ رشيد رضا فحصرها في ستة مقاصد، وأمّا القسم الثاني من المقاصد فحصرها في أربعة مقاصد، وإذا جمعت عدد المقاصد عند الشيخ رشيد رضا بقسميها تجدها عشرة مقاصد، وهي:

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٥/ ٣٢٩).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ٢٢٣).

المقصد الأول: الإصلاح الديني لأركان الدين الثلاثة.

المقصد الثاني: بيان ما جهل البشر من أمر النبوّة والرسالة ووظائف الرسل.

المقصد الثالث: إكمال نفس الإنسان من الأفراد والجماعات والأقوام.

المقصد الرابع: الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي الوطني.

المقصد الخامس: تقرير مزايا الإسلام العامة في التكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات.

المقصد السادس: بيان حكم الإسلام السياسي الدولي.

المقصد السابع: الإرشاد إلى الإصلاح المالي.

المقصد الثامن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها، فلسفة الحرب والسلم والمعاهدات.

المقصد التاسع: إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

المقصد العاشر: من فقه القرآن تحرير الرقبة[(١)].

فالمقصد الأول إلى المقصد السادس هي مقاصد في إصلاح البشر خاصّة، وما بعدها من المقاصد إلى المقصد العاشر هي مقاصد في إصلاح المفاسد الاجتماعية الكبرى.

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ١٧١-١٨٠). وانظر أيضًا: الوحي المحمدي، ص١٢١-٢٤٠.

والمقصد العام للقرآن الكريم عند الشيخ رشيد رضا هو (الإصلاح) الذي يتناول جميع الجوانب؛ أفرادًا وجماعات، أخلاقًا وعادات فاسدة، ولعلّ هذا الفكر الإصلاحي المقاصدي أخذه الشيخ رشيد رضا عن أستاذه الشيخ محمد عبده، حيث نقل عنه أنه قال: «والقرآن ما أنزل لتحديد المسائل، والأخبار، والقصص تحديدًا يستوي في فهمه كلّ قارئ، وإنما الغرض الأهمّ منه إصلاح النفوس، والتأثير الصالح فيها بترغيبها في الحقّ والخير، وتنفيرها من ضدهما»[(١)].

فالمقاصد القرآنية العشرة التي قُصِدَ بها إصلاح البشر وأخلاقهم -كما يراها الشيخ رشيد رضا- عندما نتدبّرها ونقارنها بجهود مَن سبقه من العلماء الذين تكلموا عن مقاصد القرآن نجد أنه اتفق مع شيخ الإسلام ابن تيمية في عدِّ بعض المقاصد، فالمقصد الأول الذي ذكره رشيد رضا وهو الإصلاح الديني لأركان الدين الثلاثة، وهي: الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح. نجدها عند ابن تيمية كما سبق في البحث الأول الذي تحدّث عن جهود العلماء في مقاصد القرآن من القرن الأول الهجري إلى القرن التاسع[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٤/ ٢٤٢).

(٢) انظر: جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ص١٤٥، ١٤٩. وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٧/ ١٢٠).

وكذلك الركن الثاني من هذه الأركان الثلاثة هو مقصدٌ مستقلّ عند كثير من العلماء الذين تحدّثوا عن مقاصد القرآن وعبَّروا عنه بمقصد (المعاد) لكنَّ الشيخ رشيد رضا جمع المقاصد الثلاثة واعتبرها مقصدًا واحدًا وسمّاها بمقصد الإصلاح الديني لأركان الدين الثلاثة، وهي: مقصد التوحيد، وعبَّر عنه بمقصد الإيمان بالله. ومقصد المعاد، وعبَّر عنه بمقصد الإيمان باليوم الآخر. ومقصد التشريع، وعبَّر عنه بمقصد العمل الصالح. وكان الإمام الشوكاني ممن اعتبر ركنين من هذه الأركان الثلاثة، وهما: الإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر؛ من مقاصد القرآن، وأكَّد وجودهما في كلّ ملة وذلك في كتابه: (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات).

يقول رشيد رضا: «إنّ أركان الدين الأساسية التي بعث بها جميع رسل الله تعالى وناط بها سعادة البشر هي الثلاثة المبينة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ٦٢]»[(١)].

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ١٧١).

ويذهب رشيد رضا إلى أنَّ الركن الأول من الأركان الثلاثة الذي هو الإيمان بالله، ومنه الإيمان بربوبيته وألوهيته هو أكثر المواضع والمقاصد تكرارًا في القرآن، وعبارته في ذلك: «أكبر المسائل تكرارًا في القرآن مسألة توحيد الله -عز وجل- في ألوهيته بعبادته وحده، واعتقاد أن كلّ ما سواه من الموجودات سواء في كونهم مِلكًا وعبيدًا له، لا يملكون من دونه نفعًا ولا ضرًّا لأحد، ولا لأنفسهم إلا فيما سخّره من الأسباب المشتركة بين الخلق»(١).

وأمّا الركن الثاني الذي هو البعث والجزاء فقد بيَّن رشيد رضا كيف كان تناوُل القرآن له باعتباره مقصدًا عظيمًا، فقال: «الإيمان بالبعث والجزاء، وهو الركن الثاني في جميع الأديان، من لوازم الركن الأول وهو الإيمان بالله المتصف بجميع صفات الكمال، المنزَّه عن العبث في أفعاله وأحكامه؛ ولهذا كان من أظهر أدلة القرآن عليه قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون: ١١٥]، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[القيامة: ٣٦-٤٠]»(٢).

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ١٧٢).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ١٧٥).

وأمّا الركن الثالث من المقصد الأول في الإصلاح الديني عند الشيخ رشيد رضا وهو العمل الصالح، فقد ذكر أنه مكرّر في القرآن في سور كثيرة، وهو من لوازم الركن الأول الذي هو الإيمان بالله في الدرجة الأولى؛ لأنّ مَن عرف الله عرف استحقاقه للحمد والشكر والعبادة والحبّ والتعظيم، وهي من الأعمال الصالحة؛ وهو من لوازم الركن الثاني الذي هو الإيمان بالجزاء على الأعمال في الدرجة الثانية خوفًا من العقاب ورجاءً في الثواب[(١)].

وتدخل في الأعمال الصالحة -عند الشيخ رشيد رضا- العبادات التي يُتقرّب بها إلى الله تعالى، وسائر أعمال البرّ التي ترضي الله، بما لها من التأثير في صلاح البشر؛ كَبِرِّ الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام اليتامى والمساكين. ومن أصول الأعمال الصالحة: الوصايا الجامعة في آيات سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ ... ﴾ [الإسراء: ٢٣]، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [الإسراء: ٣٩]...إلخ، وهي أجمع وأعظم من الوصايا العشر التي في التوراة. وآيات سورة الأنعام: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ... ﴾[الأنعام: ١٥١]...إلخ، وغير ذلك مما ينفع الناس من الحث على الفضائل، والزجر عن

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ١٧٧). وانظر: الوحي المحمدي، ص١٣٣.

الرذائل والمعاصي الضارة بالأبدان والأموال والأعراض والعقول والأديان، ومثارها الأكبر اتباع الهوى وطاعة وسوسة الشيطان.

ويذكر الشيخ رشيد رضا سُنة القرآن في الإرشاد إلى الأعمال الصالحة بأنها بيان أصولها ومجامعها، وتكرار التذكير بها بالإجمال، وأكثر ما يحثّ عليه من العبادات الصلاة التي هي العبادة الروحية العليا والاجتماعية المثلى، والزكاة التي هي العبادة المالية الاجتماعية الكبرى، كرّر الأمر بهما في آيات كثيرة[١].

ومن الآراء التي مشى عليها رشيد رضا في تناوله لمباحث مقاصد القرآن أنَّ القصص بحد ذاتها ليست من مقاصد القرآن، وإنما جاء سردها في القرآن لبيان سنة الله فيمن سيقت فيهم هذه القصص، وهي أيضًا لبيان ما تتضمنها تلك القصص من أصول الدين والإصلاح البشري وإصلاح الأخلاق الاجتماعية الفاسدة. يقول رشيد رضا: «بينّا مرارًا أن أحداث التاريخ وضبط وقائعه وأزمنتها وأمكنتها ليس من مقاصد القرآن، وأن ما فيه من قصص الرسل مع أقوامهم فإنما هو بيان لسُنّة الله فيهم، وما تتضمنه من أصول الدين والإصلاح»[٢].

وهناك ملاحظات لاحظها بعضُ الباحثين على تصنيفات الشيخ رشيد رضا لمقاصد القرآن، وخلاصتها فيما يأتي:

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ١٧٨).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١٢/ ٨٤).

أولًا: أنه جعل مقصد التوحيد ومقصد المعاد في مكان واحد ولم يفرّق بينهما.

ثانيًا: لم يجعل مقصد القصص وما فيه من مواعظ وعِبر من مقاصد القرآن، مع أهميته ومكانته حتى عند المتقدمين الذين تحدثوا عن مقاصد القرآن في قصصه.

ثالثًا: لم يفرّق بين المقاصد الأساسية والمقاصد الفرعية الثانوية؛ فمقصد تحرير الرقبة، ومقصد قضايا المرأة، اللَّذان ذكرهما الشيخ رشيد رضا ليسا من مقاصد القرآن الأساسية حتى لو فرضنا إدخالهما في مقاصد القرآن فلا تعدو أن تكون مقاصد جزئية فرعية.

رابعًا: أورد الشيخ رشيد رضا مزايا الإسلام العامّة أو خصائص الشريعة ضمن مقاصد القرآن مع أنها ليست كذلك.

خامسًا: إنَّ بعض مقاصد القرآن عنده متداخلة مع بعضها الآخر، كان ينبغي له أن يُدْرِج بعض المقاصد مع نظيراتها حتى لا يقع في تكرار المقاصد عند تصنيفها.

ثالثًا: خصيصة التكرار في مقاصد القرآن عند الشيخ محمد رشيد رضا:

إنَّ أهم خصيصة من خصائص مقاصد القرآن -كما ذكرها رشيد رضا- هي التكرار، حيث ذكر أنَّ مقاصد القرآن موزعة على مختلف سوره وآياته، ولم يُجْمَع آحاد هذه المقاصد في سورة واحدة أو آية واحدة؛ لأنَّ هذه المقاصد لا تقبل السرد الكلي مرة واحدة؛ لأنَّ ذلك ينافي الحكمة الإلهية وينافي البلاغة القرآنية الراقية، وقد تحدّث رشيد رضا عن هذه الخصيصة تحت فصل خاصّ عنونه بقوله: «الفصل الخامس في مقاصد القرآن في تربية نوع الإنسان وحكمة ما فيه من التكرار في الهداية وإعجازه بالبيان»[(١)].

يقول رشيد رضا تحت هذا الفصل: «إنّ مقاصد القرآن من إصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم، وإدخالهم في طور الرشد، وتحقيق أخوّتهم الإنسانية ووحدتهم، وترقية عقولهم، وتزكية أنفسهم؛ منها ما يكفي بيانه لهم في الكتاب مرّة أو مرّتين أو مرارًا قليلة، ومنها ما لا تحصل الغاية منه إلا بتكراره مرارًا كثيرة لأجل أن يجتث من أعماق الأنفس كلّ ما كان فيها من آثار الوراثة والتقاليد والعادات القبيحة الضارة، ويغرس في مكانها أضدادها، ويتعاهد هذا الغرس بما ينميه حتى يؤتي أكله، ويبدو صلاحه، ويينع ثمره»[(٢)].

---

(١) انظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص١١٩.

(٢) انظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص١١٩.

ويبيّن رشيد رضا حكمة تفريق مقاصد القرآن في سوره وآياته في تفسير المنار حيث قال: «لو أنَّ كلّ ما ذُكر وما لم يُذكر من مقاصد القرآن التي أراد الله بها إصلاح شؤون البشر جُمِع كلُّ نوع منها وحده كترتيب أسفار التوراة التاريخي الذي لا يعلم أحد مُرَتِّبَه، أو كتب العلم والفقه والقوانين =لَفَقَدَ القرآنُ بذلك أعظم مزايا هدايته المقصودة بالقصد الأول للغاية التي انتهت إليها، وهو التعبد به واستفادة كلّ حافظ للقليل من سوره كثيرًا من مسائل الإيمان والفضائل والأحكام والحِكم المنبثّة في جميع السور»[(١)].

ويقول رشيد رضا أيضًا في هذه الخصيصة القرآنية: «القرآن ليس كتابًا فنيًّا فيكون لكلّ مقصد من مقاصده باب خاصّ به، وإنما هو كتاب هداية ووعظ ينتقل بالإنسان من شأن من شؤونه إلى آخر، ويعود إلى مباحث المقصد الواحد المرّة بعد المرّة، مع التفنّن في العبارة، والتنويع في البيان، حتى لا يملّ تاليه وسامعه من المواظبة على الاهتداء، يُوجز أحيانًا بما يعجز كلّ أحد عن الإتيان بمثله إذا كان المقام يقتضي الإيجاز، ويُطنب في مقام آخر حيث ينبغي الإطناب، وهو معجز في إطنابه كإيجازه، لا لغو فيه ولا حشو، ولكلّ مقام فيه مقال ينطبق على الحكمة، ويعين على التدبّر والتذكر»[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ١٦٢-١٦٣).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٢/ ٣٥٧). وانظر أيضًا: تفسير المنار، (٣/ ٣٦١)، (٢/ ٣٥٣).

رابعًا: مناهج التفسير وأفضلية منهج التفسير المقاصدي الهدائي عند الشيخ رشيد رضا:

منذ أول وهلة عزم الشيخ رشيد رضا على بيان منهجه المختار في تفسير القرآن، وشرح معنى التفسير الذي يحتاج إليه الناس في عصره، وقد عرف الناس هذا المنهج باصطلاح (التفسير الهدائي) الذي ينطلق من نظرة المفسِّر إلى القَصْد من القرآن وآياته المتلوّة وهو الاهتداء به، وهذا المنهج التفسيري واضح في مقدمة تفسير (المنار)، حيث قال الشيخ رشيد رضا: «والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له وأداة أو وسيلة لتحصيله»[(١)].

فهذا هو تعريف التفسير المثالي الذي يسعى إليه الشيخ رشيد رضا، تفسير يفهم معنى آيات الكتاب على أنها آيات إرشادية في سعادة البشر في الدنيا والآخرة، فكلّ تفسير لا يبين هذا المعنى ولا يسعى إليه فليس بتفسير عند الشيخ رشيد رضا، بل هو من وسائل التفسير المثالي الذي بيَّن مراده به، ومناهج التفسير الخارجة عن هذا الأصل هي ثمانية مناهج أو أنواع للتفسير كما ذكرها الشيخ رشيد رضا، وهي:

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١/ ١٧).

١. منهج التفسير البلاغي أو البياني الذي يهتم بالنظر إلى أساليب القرآن ومعانيه البيانية.

٢. تفسير يعتمد على بيان إعراب الألفاظ والجمل ويربطها بمعاني الكتاب.

٣. منهج التفسير القصصي الإسرائيلي الذي يعتمد على الكتب المعتمدة عند أهل الكتاب.

٤. تفسير يهتم ببيان مفردات القرآن الغريبة ويفسرها عن طريق الاستشهاد بما أُثر عن العرب.

٥. منهج التفسير الفقهي الذي يفسّر الأحكام الشرعية الواردة في القرآن ويستنبط منها الأحكام.

٦. منهج التفسير الكلامي الفلسفي العقدي الذي يهتم بتفسير كلّ ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية.

٧. منهج التفسير الوعظي الصُّوفي الذي يهتم باستنباط المواعظ والرقائق من القرآن ويربطها بالحكايات.

٨. منهج التفسير الإشاري الذي يعتمد على بعض الإشارات البعيدة أو القريبة ويستنبط منها التفسير.

هـذه المنـاهج التفسـيرية الثمانيـة لا ينبغـي الإكثـار منهـا؛ لأنَّ ذلـك يُبعِـد المفسِّر عن الاهتمام بفهم مقاصد التنزيل[(١)].

وقد دعا الشيخ رشيد رضا إلى الإصلاح في علم التفسير والاهتمام بربط مقاصد القرآن بهذا العلم، ومن أمثلة الإصلاحات التي دعا إليها: ما يفعله كثير من المفسرين من تفسير القرآن ببعض المصطلحات التي لم يدلّ عليها الاستعمال القرآني. ومن القواعد التي أسّسها الشيخ رشيد رضا في هذه الدعوة الإصلاحية في فنّ التفسير:

الأولى: الدعوة إلى: أن يفسّر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله. والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرّر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استُعْمِل بمعانٍ مختلفة؛ كلفظ (الهداية) وغيره، ويحقّق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا: إنّ القرآن يُفَسَّر بعضه ببعض، وإنّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته.

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١/ ١٨).

الثانية: الدعوة إلى: الاستفادة بعلم أحوال البشر (علم الاعتبار بالقصص القرآني) الوارد في ثنايا آيات التنزيل وسوره، يقول الشيخ رشيد رضا: «فقد أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب، وبيَّن فيه ما لم يبيّنه في غيره؛ بيَّن فيه كثيرًا من أحوال الخلق وطبائعهم والسنن الإلهية في البشر، قصّ علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسُنته فيها. فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم، ومناشئ اختلاف أحوالهم؛ من قوة وضعف، وعِزّ وذُلّ، وعلم وجهل، وإيمان وكفر، ومن العلم بأحوال العالم الكبير عُلويّه وسُفليّه»[(١)].

وقد نقل الشيخ رشيد رضا تعجُّب شيخه محمد عبده من الذي يفسّر القرآن دون معرفته لعلم أحوال البشر والتاريخ البشري[(٢)].

الثالثة: الدعوة إلى: معرفة وجه هداية البشر كلّهم بالقرآن: فيجب على المفسّر القائم بهذا الفرض الكفائي أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوّة من العرب وغيرهم؛ لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال، وأن النبي ﷺ بُعث به لهدايتهم وإسعادهم. وكيف يفهم المفسّر ما قبّحته

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١/ ٢٠).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١/ ٢١).

الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة، أو ما يَقرُب منها إذا لم يكن عارفًا بأحوالهم وما كانوا عليه؟ هل يكتفي من علماء القرآن دعاة الدين والمناضلين عنه بالتقليد بأن يقولوا تقليدًا لغيرهم: إنّ الناس كانوا على باطل، وإنّ القرآن دحض أباطيلهم في الجملة؟ كلا.

الرابعة: الدعوة إلى: العلم بسيرة النبي ﷺ وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويّها وأخرويّها[(١)].

هذه الدعوات الإصلاحية الأربع التي دعا إليها الشيخ رشيد رضا وأستاذه الشيخ محمد عبده تمثّل (ركائز التفسير المقاصدي الهدائي)، فمَن ركَّز عليها عرف مقاصد القرآن وهداياته العظيمة.

وبعد حديث الشيخ رشيد رضا عن مناهج التفسير الثمانية وبيان الإصلاحات الجديدة التي ينبغي أن تُصرف الجهود إليها في فنِّ التفسير، بيَّن أنَّ خلاصة العلوم والمناهج التي يستفاد بها في فهم التفسير ومقاصد القرآن قسمان، وهذان القسمان نقلهما الشيخ رشيد رضا عن الجمال القاسمي من تفسيره (محاسن التأويل) بتصرُّف يسير، دون أن يحيل إليه، أو يصرِّح باسمه، وقد سبق نقلهما عن القاسمي، وهما:

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١/ ٢١).

القسم الأول: التفسير الذي يقصد به حلَّ الألفاظ وإعراب الجُمَل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، ذهب القاسمي والشيخ رشيد رضا إلى أنَّ هذا لا يسمى تفسيرًا؛ لبُعده عن الله وعن كتابه، وقال: وإنما هو ضربٌ من التمرين في الفنون؛ كالنحو والمعاني وغيرهما.

القسم الثاني: التفسير الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تُستعمل لغايتها، وهو ذهاب المفسّر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقق فيه معنى قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾[الأعراف: ٥٢]، فالمقصد الحقيقي وراء كلّ تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن[١].

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١/ ٢٢). وانظر أيضًا: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، (١/ ٢٠٧).

المطلب الرابع: جهود الشيخ سيد قطب (ت:١٣٨٥هـ) في مقاصد القرآن وموضوعاته:

أولًا: مصطلحات المقاصد عند سيد قطب:

تحدّث سيد قطب عن مقاصد القرآن في كتابه: (التصوير الفني في القرآن)، وفي تفسيره: (في ظلال القرآن)، وفي كتابه: (خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته)، وتحدّث عن طبيعة المنهج القرآني في كتابه: (معالم في الطريق)، لكنَّه استعمل مصطلحات أخرى هي في معنى «مقاصد القرآن»، وهذه المصطلحات هي:

أ- أغراض القرآن. ب- حقائق التصوّر الإسلامي. ج- موضوعات القرآن. د- المنهج القرآني. هـ- المنهج الإلهي. و- قواعد القرآن الكلية. ز- الحقائق القرآنية. ح- الأغراض الدينية. ط- الموضوعات الإلهية. ي- التوجيهات الدينية.

وحين تختلف اصطلاحات سيد قطب في تسمية «مقاصد القرآن» كثيرًا، نجد أنَّ هذه هي عادة الذين تكلموا عن مقاصد القرآن قبل سيد قطب، وهذا حصل قبل أن يشتهر بمصطلحه الأخير: «مقاصد القرآن»؛ فقد استعملوه بمصطلحات، من أبرزها:

١. **أقسام القرآن**: وهذا المصطلح عند الغزالي في جواهر القرآن[١].

٢. **علوم القرآن**: وهذا المصطلح عند الغزالي، وابن العربي، والقرطبي، والبيضاوي، والدِّهلَوي، وغيرهم[٢].

٣. **مطالب القرآن**: وهذا المصطلح ورد كثيرًا عند فخر الدين الرازي، والإمام البقاعي في (نظم الدرر)[٣].

إلا أنَّ الإمام البقاعي هو الذي أشهَر مصطلح (مقاصد القرآن)؛ حيث سمَّى كتابه في ذِكر مقاصد سور القرآن بـ: (مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور)، واستعمل لفظ المقاصد كثيرًا في هذا الكتاب. وجاء بعده الإمام الطاهر بن عاشور فأكثر -هو أيضًا- من استخدام مصطلح (مقاصد القرآن) في تفسيره (التحرير والتنوير)، إلا أنَّ الإمام الغزالي -حسب ما وصل إليه بحثي- أول من استخدم مصطلح (المقاصد) في مباحث مقاصد القرآن وموضوعاته، كما سبق ذكر ذلك.

---

(١) انظر هذه المواضع من كتاب: جواهر القرآن، للغزالي، ص٤٨، ٦٣، ٧٠.

(٢) انظر: جواهر القرآن، ص١٥، ٧٣. وقانون التأويل، لابن العربي، ص٥٤١-٥٤٢. وتفسير القرطبي، (١/ ١١٢)، وتفسير البيضاوي، (٤/ ١٥٤).

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام البقاعي، (٣/ ١٦٥).

ثانيًا: مقاصد القرآن عند سيد قطب:

ولقد تبيّن للباحث بعد قراءة مباحث القصة في كتاب (التصوير الفني)، وتفسير بعض الآيات القرآنية من تفسير سيد قطب، وكتابه (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته)، وبعد قراءة مؤلفات سيد قطب الأخرى =أنّه تحدث بشكلٍ كبيرٍ عن مقاصد القرآن الكريم من خلال القصص ومن خلال الآيات التي تحمل إرشادات دينية وحقائق قرآنية، وذكر لها نماذج وأمثلة كثيرة، وكانت براعة سيد قطب في بيان مقاصد القرآن عديمة النظير، ولقد وصف هذه البراعة الدكتور وصفي عاشور فقال: «والحقّ أنه لم يَرْتقِ قطب إلى هذا المرتقى العالي مع القرآن، والتعبير عن أهدافه وغاياته، وتسجيل مقاصده وهداياته باقتدار وبراعة لا نعرف لها مثيلًا؛ إلّا لأنه تحرك، ونهج نهج القرآن الحركي العملي، وتمثَّل توجيهاته الروحية والفكرية واقعًا حيًّا ملموسًا، وعاش مع القرآن كما لو كان يشاهد التنزيل، فجاءت ألفاظه نابضة بأنفاسه، ممتزجة بدمائه»[(١)].

(١) انظر: في ظلال سيد قطب؛ لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري، وصفي عاشور، المنوفية: صوت القلم العربي، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٦٧.

وقد ذكر سيد قطب صعوبة استقصاء مقاصد القرآن وحصرها؛ لأنَّها كثيرة جدًّا ومتشعبة؛ لذا قال بأنّه ذكر أهم هذه المقاصد، ولم يقصد استقصاءها وتتبعها[(١)]؛ لأنّ القارئ أو الباحث إذا أراد استقصاءها يجدها بكثرة ووفرة، وقد بدَا للباحث بسبب كثرة المقاصد القرآنية في القرآن وعند سيد قطب، أن يقسِّمها حسب تنوُّعها إلى قسمين:

القسم الأول: مقاصد القرآن الإجمالية: وهي أربعة:

١. مقصد بيان الحقيقة الإلهية.

٢. مقصد بيان حقيقة الكون.

٣. مقصد بيان حقيقة الحياة.

٤. مقصد بيان حقيقة الإنسان.

ذكر سيد قطب هذه المقاصد الأربعة في كتابه: (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته)، واهتم ببيانها، وذكَر لها الآيات القرآنية التي تحدّثَت عنها، وبيَّنَ أنَّ كلّ الآيات القرآنية تدور حول بيان هذه الحقائق والمقاصد، وبيَّن أنّ تحت هذه المقاصد والحقائق الأربعة جزئيات توضحها وترجع إليها، ونترك

(١) انظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص١٦٤-١٧٠.

سيد قطب يشرح هذا بنفسه ويبين ما يعني بهذه الحقائق، فيقول سيد قطب: «وهكذا يجد الإنسان من كثرة النصوص القرآنية وتنوّعها حول هذه الحقائق الأساسية ما يشعره بالقصد إلى بيانها وتحديدها، والتوسّع فيها؛ لتكون قاعدة كاملة شاملة للتصوّر الإسلامي المستقل، الذي يستمد لبناته -كما يستمد تصميمه- من المصدر الرباني المضبوط، الموثوق بصحته وبعلمه وخبرته»[(١)].

يؤكّد سيد قطب أنَّ القرآن كلّه لا يعدو أن يكون ميدانًا وموضوعًا لبيان هذه الحقائق الأربع أو بتعبير آخر المقاصد الأربعة؛ ومع أنَّ سيد قطب لم يصرِّح ببعض المقاصد التي اتفق أكثر مَن تكلم عن المقاصد في اعتبارها مقاصد للقرآن؛ كمقصد المعاد، ومقصد الأحكام مثلًا، إلا أنه يمكن أن يُدْرَجَ هذان المقصدان في أَحَدِ هذه المقاصد الأربعة، فمقصد بيان حقيقة الحياة عند سيد قطب يندرج تحته مقصد المعاد عند بعض العلماء؛ لأنَّ ما بعد الحياة هو اليوم الآخر وهو المعاد، فيكون داخلًا في مقصد بيان حقيقة الحياة وما بعد الحياة وهو المعاد.

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، القاهرة: دار الشروق، د.ت، ص١١١. وانظر لبيان هذه المقاصد والحقائق هذه الصفحات: ٤-٨، ٩٨.

وأمّا مقصد التشريع أو الأحكام عند بعض العلماء الذي لم يرِد التصريح به عند سيد قطب؛ فيمكن إدخاله في مقصد بيان الحقيقة الإلهية التي فيها توحيد الربوبية والألوهية؛ لأنَّ التشريع عبادة، فالعبادة شريعة، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨]، ومقصد بيان حقيقة الحياة التي هي العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

ويمكن إدخال مقصد التشريع أيضًا في الحقيقة الإنسانية؛ لأنَّ الهدف من خلق الإنسان هو العبادة التي هي التشريع، كما يستفاد ذلك من الآية السابقة، ولأنَّ الحياة والإنسان إذا لم يكن معهما العبادة فلا يحققان الهدف من الحياة، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ونذكر بيان هذه المقاصد والحقائق الأربع التي ذكرها سيد قطب على الترتيب المذكور سابقًا:

١. المقصد الأول: بيان الحقيقة الإلهية:

وهذا المقصد لم ينفرد به سيد قطب، فقد سبَقه في جعله من مقاصد القرآن أبو العباس بن سريج (ت:٣٠٦) بعبارة: «الأسماء والصفات»، والطبري بعبارة: «التوحيد»، وأبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) بعبارة: «تعريف المدعو إليه»، وابن بَرَّجان الإشبيلي (ت:٥٣٥هـ) بعبارة: «التوحيد»، وابن العربي

(ت:٥٤٣هـ) بعبارة: «التوحيد» أيضًا، إلا أنَّه أدخل فيه المقصد الثالث عند سيد قطب وهو مقصد «بيان حقيقة الكون»[١]. وهو عند العز بن عبد السلام، والبيضاوي، وابن عاشور، بعبارة: «الثناء على الإله»، وعند ابن جزيّ بعبارة: «معرفة الربوبية»، وعند ابن القيم في القسم الثاني من مقاصد القرآن وهو (الخبر) بعبارة: «خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه».

يقول سيد قطب عن هذا المقصد والحقيقة: «إنّ هذا التصور يقوم ابتداءً على تعريف الناس بربهم تعريفًا دقيقًا كاملًا شاملًا يعرّفهم بذاته سبحانه، ويعرفهم بصفاته، ويعرّفهم بخصائص الألوهية المتفردة، التي تَفْرِقها تمامًا من خصائص العبودية، كما يعرّفهم بأثر هذه الألوهية في الكون، وفي الناس، وفي جميع العوالم والأمم الحية، ويتم هذا التعريف على نطاق واسع جدًّا في القرآن الكريم، يصبح معه الوجود الإلهي في النفس البشرية وجودًا أكيدًا واضحًا موحيًا مؤثِّرًا، يأخذ النفس من أقطارها جميعًا، وتعيش معه النفس مشدودة إليه، لا تملك التفلُّت منه، ولا نسيانه، ولا إغفاله؛ لأنه من القوة والوضوح والفاعلية، بحيث يواجه النفس دائمًا، ويتراءى لها دائمًا، ويؤثّر فيها دائمًا»[٢].

(١) انظر: قانون التأويل، ابن العربي المعافري، ص٥٤١-٥٤٢.

(٢) انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ص١٠١-١٠٢، ١٢٠.

وقد ذكَر سيد قطب تحت المقصد الأول والحقيقة الأولى «الحقيقة الإلهية» في كتابه: (خصائص التصور الإسلامي) =آياتٍ قرآنيةً كثيرة، التي تشرح هذا المقصد وتبين أهمية معرفته وتدبره، وتدلّ على التنويه به، والقصد إليه[١].

وسيد قطب بهذا الصنيع مقتفٍ لأثر الإمام الغزالي الذي سرد الآيات القرآنية من المصحف الشريف في كتابه المقاصدي: (جواهر القرآن ودرره).

٢. المقصد الثاني: بيان حقيقة الكون:

تشكّل الآيات القرآنية نطاقًا واسعًا في بيان هذه الحقيقة، وبيان هذا المقصد العظيم من مقاصد القرآن، وكان حديث القرآن عن (الكون) وما يتعلق به -كما يذكر ذلك سيد قطب- قد شمل الكون وحقيقته، ومصدر وجوده، وعلاقته بخالقه، وعبوديته له، واستعداده لاستقبال الحياة، وعلاقته بالإنسان، وعلاقة الإنسان به، وغير ذلك من الجزئيات التي تتعلّق بحقيقة الكون في القرآن الكريم.

ويعرِّف القرآنُ للناس طبيعة الكون الذي يعيشون فيه، وخصائصه، وارتباطه بخالقه، ودلالته على خالقه، واستعداده لنشأة الحياة فيه والأحياء، وكيف يستفيدون بطيِّبات رزقه ولذَّاته، ويجتنبون خبائثه وشروره، ويبين لهم ما سخَّر لهم بإذنه تعالى... إلخ[٢].

---

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ص١٠٢-١٠٤.

(٢) انظر: خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، ص١٠٢.

يقول سيد قطب عن اهتمام القرآن ببيان حقيقة الكون: «ومما يلاحظ بوضوح في منهج التربية القرآني كثرة توجيه الإدراك البشري إلى ما في الكون، وما في الأنفس، من أمارات وآيات، وتوجيه هذا الإدراك إلى مصاحبة صنعة الله في الأنفس والآفاق، ذلك أنَّ هذه المصاحبة (فوق أنها تُنَبِّه الإدراك البشري إلى معرفة الصانع مِن صنعته، وإجلاله بإدراك عظمته من عظمة صُنعه، وحبّه بإدراك عظمة أَنْعُمِهِ)، فهي في الوقت ذاته تطبع الإدراك الإنساني بخصائص تلك الصنعة: من دِقَّة وتناسُق وانتظام، لا خَلَل فيه ولا تَصادُم ولا تَفاوُت، كما تطبعه بمُوحِياتها كذلك، من سنن وحقائق ومقررات...»[(١)].

وقد ذكر محمد قطب -وهو الأخ الشقيق لسيد قطب- أنَّ الآيات القرآنية المتحدّثة عن الكون كثيرة، فقال: «من أكثر الموضوعات ورودًا في القرآن الحديث عن آيات الله في الكون في معرِض الحديث عن قضية الألوهية... وفي السور المكية بصفة خاصّة ترد الإشارات بكثرة ملحوظة قد تُوهم لأول وهلة بوجود التكرار، بمعنى التماثل»[(٢)].

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، ص١٤٧-١٤٨.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٢٦٥.

٣. المقصد الثالث: بيان حقيقة الحياة:

يشرح سيد قطب أنه كما قصد القرآن إلى بيان حقيقة الكون، فقد قصد إلى بيان حقيقة (الحياة) التي يعيشها الناس في هذا الكون، بشتى أنواعها وأجناسها وأشكالها ودرجاتها، ومصدرها، وعلاقتها بطبيعة الكون، وعلاقتها بمبدعها، واهتم القرآن ببيان حالتين اثنتين للحياة البشرية: «حالتان اثنتان تتعاوران الحياة البشرية على مدى الزمان واختلاف المكان؛ حالة الهدى وحالة الضلال (مهما تنوعت ألوان الضلال)، حالة الحق وحالة الباطل (مهما تنوعت ألوان الباطل)، حالة النور وحالة الظلام (مهما تنوعت ألوان الظلام)، حالة الشريعة وحالة الهوى (مهما تنوعت ألوان الهوى)، حالة الإسلام وحالة الجاهلية (مهما تنوعت ألوان الجاهلية)، حالة الإيمان وحالة الكفر (مهما تنوعت ألوان الكفر)...»إلخ[١].

ثم سرد سيد قطب الآيات في هذه الحقيقة وهذا المقصد الكبير للاستدلال بها على ما استنبطه من هذا المقصد والحقيقة القرآنية[٢].

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، ص٨٨.

(٢) انظر: خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، ص١٠٦-١٠٨.

٤. المقصد الرابع: بيان حقيقة الإنسان:

ذكر سيد قطب أنَّ حديثَ القرآن عن (الإنسان) وحقيقته، وخصائصه ومصدره، وغاية وجوده، ومنهج حياته؛ مقصدٌ عظيم من مقاصد القرآن، وتحدّث القرآن عن الإنسان حديثًا مستفيضًا، تناوَل مصدره ومنشأه، وطبيعته وخصائصه، ومركزه في هذا الوجود، وغاية وجوده، وعبوديته لربّه ومقتضيات هذه العبودية. ثم نواحي ضعفه وقوّته، وواجباته وتكاليفه، وكلّ صغيرة وكبيرة تتعلّق بحياته في هذه الأرض، ومآله في العالم الآخر؛ قد سطَّرَتْه الآيات القرآنية، وقصدَتْ إلى بيانه وتفصيله في آيات وسور خُصِّصَت لذلك.

وقد بيَّن سيد قطب في كتابه: (معالم في الطريق) أنّ القرآن المكي ركَّز كثيرًا على بيان حقيقة الإنسان مع الحقائق الثلاث الأخرى[(١)].

(١) انظر: معالم في الطريق، سيد قطب، تحقيق: علي بن نايف الشحود، بهانج: دار المعمور، ط١، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ، ص٢٣.

القسم الثاني: مقاصد القصص عند سيد قطب:

إنَّ مقاصد قصص القرآن كثيرة، وقد يصعب حصرها بسبب اندراجها تحت المقاصد القرآنية الإجمالية الأربعة التي سبق الحديث عنها بتفصيل، وقد ذكر سيد قطب نماذج من مقاصد القصص في القرآن، وذكر أنَّه لا يمكن إحصاء هذه المقاصد لأنَّها كثيرة، وذكر أنَّ أهم وسيلة للقرآن في عرضها هي (القصة)[1]. وخلاصة ما ذكره سيد قطب من مقاصد القصص القرآنية ثمانية مقاصد، وهي:

١. **المقصد الأول**: الوحدة (التوحيد).

٢. **المقصد الثاني**: إثبات الوحي والرسالة (النبوة).

٣. **المقصد الثالث**: تصديق التبشير والتحذير (الوعد والوعيد، الترغيب والترهيب).

٤. **المقصد الرابع**: بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه.

٥. **المقصد الخامس**: تنبيه بني آدم على غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم (الابتلاء).

---

(١) انظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص١٤٤.

٦. **المقصد السادس**: بيان قدرة الله على الخوارق (الإعجاز، أو المعجزة).

٧. **المقصد السابع**: بيان عاقبة الطِّيبة والصلاح، وعاقبة الشر والإفساد (المعاد).

٨. **المقصد الثامن**: بيان الفارق بين الحكمة الإلهية والحكمة الإنسانية[(١)].

ثالثًا: أثر فكر سيد قطب المقاصدي عند المعاصرين:

لقد كان لفكر سيد قطب المقاصدي أثرٌ كبيرٌ عند المعاصرين؛ ومن أبرزهم الشيخ الدكتور طه جابر العلواني، والدكتور فتحي حسن ملكاوي، ويتجلى هذا الأثر في تصنيف الشيخ طه جابر لمقاصد القرآن وغاياته إلى ثلاثة: التوحيد، والتزكية، والعمران. وقد شرح الشيخ طه جابر العلواني هذه المقاصد فرأى أنَّ الخطاب القرآني له مصدر هو الله تبارك وتعالى، وله مَن وُجِّه إليه الخطاب وهو الإنسان، وهناك ميدان الفعل الإنساني وهو الكون، وعليه يتحقق فيه العمران[(٢)].

---

(١) انظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب.

(٢) انظر: جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، د. مسعود بودوخة، المؤتمر العالمي للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، ص٩٧٨-٩٧٩.

فهذه الرؤية المقاصدية للخطاب القرآني عند الشيخ طه جابر العلواني اختصار لما سبق من تصنيف سيد قطب لمقاصد القرآن إلى المقاصد أو الحقائق الأربع، وهي بيان: الحقيقة الإلهية، والحقيقة الكونية، وحقيقة الحياة، وحقيقة الإنسان؛ إلا أنَّ الشيخ طه جابر اختصر تلك المقاصد الأربعة إلى ثلاثة: وهي: التوحيد، والكون، والإنسان.

يقول الدكتور مسعود بودوخة عن هذا التصنيف المقاصدي عند الشيخ طه جابر العلواني: «إنَّ هذا التصنيف الذي توصل إليه العلواني، تصنيف مجمل، ولكنه تضمّن مقاصد أساسية شاملة؛ فمقصد التوحيد عنده يشمل المعاد؛ لأنَّ المعاد يترتّب على القول بالتوحيد، ومقصد التزكية الذي ذكره لا شكَّ أنه يتضمّن الأخلاق وطرفًا من التشريع، أمّا مقصد العمران فيشمل كلّ أحكام الشريعة، ولكنه يوحي بأنه يمتد إلى كلّ ما يبتدعه الإنسان ويهتدي إليه من وسائل ونظم حياتية تحقق مبدأ الاستخلاف وعمارة الأرض في إطار العبودية لله سبحانه وتعالى؛ وإذ لم يجعل العلواني موضوع القصص مقصدًا خاصًّا للقرآن فلأنَّ جانب القصص ليس مقصدًا لذاته، ولكنه مقصد يعزّز المقاصد الأخرى»[(١)].

(١) انظر: جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، د. مسعود بودوخة، ص٩٧٩.

وأمّا الدكتور فتحي حسن ملكاوي الذي ألَّف كتابًا تحدّث فيه عن منظومة مقاصدية تتكوّن من قيم عليا عيَّنها، وهي: الله الخالق، والعالَم المخلوق، والإنسان المستخلَف. واعتبر الدكتور الملكاوي هذه الثلاثة حقائق للتصور الإسلامي، ثم ذكر مقومات هذا التصوّر وهي ثلاثة تنصب في وادي المقاصد القرآنية في نظر سيد قطب والشيخ طه جابر العلواني، وهي:

١. التوحيد، وهو المقصد الأعلى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

٢. التزكية: تزكية الإنسان في عقله، وقلبه، وسلوكه، وماله، وعلاقاته.

٣. العمران: عمران الكون ماديًّا ومعنويًّا، ويتمثل في: الاستخلاف، والتمكين، والاستعمار.

وقد صرَّح الدكتور فتحي حسن الملكاوي في مقدمة عرضه لكتابه: (منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية)، التي ألقاها في محاضرة قيّمة على الشبكة بطلَب من استشارية المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المغرب، بتاريخ: الثلاثاء ١٦ حزيران/ يوليو ٢٠٢٠م، أنَّ فكرة تأليفه للكتاب بدأت عندما قرأ المؤلف الطبعة الأولى الصادرة لتفسير سيد قطب (في ظلال القرآن)، حيث وعَد سيد قطب في هذا التفسير أن يؤلِّف كتابًا يتحدّث عن أربع حقائق مقاصدية، وهي: الله، والكون، والحياة، والإنسان. فلما صدر كتاب سيد قطب

المسمَّى (حقائق التصوّر الإسلامي ومقوماته) الذي تحدّث فيه عن هذه المقاصد الأربعة: بيان الحقيقة الإلهية، وبيان الحقيقة الكونية، وبيان الحقيقة الإنسانية، وبيان حقيقة الحياة. لم يشف غليل الدكتور الملكاوي، فعزم على تأليف كتاب يتحدّث فيه عن منظومة مقاصدية قِيَمِيَّة مكوَّنة من: الله الخالق، والعالَم المخلوق، والإنسان المستخلَف. وأمّا قيمة هذه الثلاثة فتتمثل في مقصد: التوحيد، والتزكية، والعمران.

هذه هي خلاصة فكر الشيخ طه جابر العلواني، والدكتور فتحي حسن الملكاوي في تطوير فكرة سيد قطب المقاصدية وتنقيحها واختصارها وبيان فحواها، فلسيّد قطب الفضل في تجلية هذه المقاصد قبلهما، ولهما الفضل في تطويرها وبيانها بلاغًا للناس ولِيُنذَرُوا به وليتذكَّر أولو الألباب.

رابعًا: مقاصد السور القرآنية وموضوعاتها واهتمام سيد قطب بها:

يتميز سيد قطب عن كثيرٍ من المفسرين باهتمامه ببيان موضوعات السور ومقاصدها العامة والمهمّة، وقد سلك في الكشف عن ذلك طريقة جميلة وهي تقسيمه للسورة القرآنية إلى وحدات موضوعية، وبيان ترابط تلك الوحدات في المقصد العام والرئيس للسورة، وهو ما يعرف في علم البلاغة القرآنية بـ(علم المناسبات بين السور والآيات)، وقد استخدم سيد قطب مصطلح (المَشاهِد) في التعبير عن هذه الوحدات والموضوعات والمقاصد، كما استخدم كذلك

مصطلحات أخرى مرادفة لهذا المصطلح، مثل: (الأغراض) (الأهداف) (المظاهر) (الموضوعات) (المحور)... إلخ، إلا أنَّ مصطلح (المَشَاهِد) له مكانة خاصّة عند سيد قطب؛ حيث ألَّف كتابًا فريدًا من نوعه في أحد موضوعات القرآن ومقاصده، وهو (مقصد المعاد) أو (علم المعاد) -كما سمَّاه كثير من العلماء السابقين؛ كفخر الدين الرازي، والبيضاوي، وابن جزي الكلبي، وولي الله الدِّهلَوي وغيرهم-، وهذا الكتاب هو المعروف بـ(مشاهد القيامة في القرآن)، فهذا المؤلَّف هو عبارة عن تفسير موضوعي مقاصدي للقرآن في أحد أهم مقاصده وموضوعاته، وهو مقصد المعاد أو القيامة، وقد بذل فيه سيد قطب جهده لوصف موضوعات القيامة ومشاهدها بأسلوب أدبي جذَّاب، يتمتع القارئ بقراءة سطور هذا الكتاب الرائع.

ولقد آمَن سيد قطب بأنَّ لكلّ سورة من سور القرآن موضوعًا واحدًا أساسيًّا أُنزِلَت من أجلِه، إلا أنَّ ذلك لا يمنع أن تتضمّن السورة عدّة موضوعات تابعة للموضوع الأساسي لتلك السورة، يقول سيد قطب وهو يتحدث عن موضوع (سورة الأنعام) المكية: «فلكلّ سورة شخصيتها، وملامحها، ومحورها، وطريقة عرضها لموضوعها الرئيس، والمؤثِّرات الموحية المصاحبة للعرض والصور والظلال والجوّ الذي يظلّلها، والعبارات الخاصّة التي تتكرّر فيها، وتكون أشبه باللوازم المطّردة فيها... حتى وهي تتناوَل موضوعًا واحدًا أو موضوعات متقاربة، فليس الموضوع هو الذي يرسم شخصية السورة ولكنه

هذه الملامح والسمات الخاصة بها. وهذه السورة -مع ذلك- تعالج موضوعها الأساسي بصورة فريدة، إنها في كلّ لمحة منها وفي كلّ موقف، وفي كلّ مشهد، تمثّل الروعة الباهرة»[(١)].

وبناءً على هذا المبدأ كان سيد قطب يشير في مقدمة تفسيره لكثير من السور إلى محورها الذي تدور عليه آياتها، وموضوعها الذي تعالجه وتتحدث عنه في طيّات آياتها.

يقول الدكتور عبد الفتاح الخالدي: «لقد كان سيد قطب حريصًا -قبل البدء بتفسير السورة- على إدراك الوحدة الموضوعية فيها، وما ترمي إليه من مقاصد سامية، ومعرفة شخصيتها المتفردة، والوقوف على موضوعها الرئيس؛ ولذلك كان يقرأ السورة الكاملة -كما يخبر عن نفسه في مقدمة تفسيره- عدّة مرات، وربما عاوَد قراءتها والنظر فيها يومًا بعد يوم؛ محاولةً منه في إدراك ما سبق ذِكره، وحتى يهتدي -رحمه الله- إلى موضوعها الرئيس، ومحورها العام الذي تدور حوله سائر موضوعاتها الفرعية الأخرى...»[(٢)].

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢/ ١٠١٥).

(٢) انظر: مدخل إلى ظلال القرآن، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص١١٤.

ويَبْرُز منهج سيد قطب في التعبير عن مقاصد السور القرآنية في نقطتين، وهما:

النقطة الأولى: أنه يقارن بين سورتين إذا اشتركتا في أحد المقاصد القرآنية، ويبين طريقة تناولهما لجوانب ذلك المقصد، ونجد هذا المنهج ظاهرًا في مقارنة سيد قطب لمقصد سورة الأنعام والأعراف، فقد بيَّن أنهما اتفقتا في بيان مقصد العقيدة؛ فسورة الأنعام عالجَت العقيدة في ذاتها، أي: الإيمان بالله وحده ونفي الشركاء عنه، بينما عالجَت سورة الأعراف العقيدة في مجال التاريخ البشري في مجال رحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والملأ الأعلى، وعائدة إلى النقطة التي انطلقت منها[(١)].

النقطة الثانية: المنهج الثاني الذي سلكه سيد قطب في بيان مقاصد السور هو تبيان نوع السورة إن كانت مكية أو مدنية، انطلاقًا من مبدأ تمايز النوعين في المقاصد والخصائص؛ فالقرآن المكي (ولو أنه قرآن من القرآن) يشترك مع سائره في خصائصه القرآنية العامة، وفي تفرده من كلّ قول آخر لا يحمل الطابع الرباني الفريد العجيب، في الموضوع وفي الأداء سواء. وقد هدى هذا المنهج سيد قطب إلى استخلاص موضوع القرآن المكي ومقاصده، فـ«موضوعات

(١) انظر: جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، الدكتور مسعود بودوخة، ص٩٦٥-٩٦٦.

السور المكية وهدفها الأول هو بناء أسس العقيدة، أمّا الأصول الكبيرة لهذه العقيدة: فهي الوحي، والرسالة، والتوحيد، والبعث، والحساب، والجزاء»[(١)].

(١) انظر: جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، الدكتور مسعود بودوخة، ص٩٦٥-٩٦٦.

المطلب الخامس: جهود محمد قطب (ت:١٣٩٣هـ) في مقاصد القرآن وموضوعاته:

أولًا: مصطلحات المقاصد القرآنية عند محمد قطب:

استخدم محمد قطب مصطلحات مقاصدية عند حديثه عن مقاصد القرآن، وأكثر تلك المصطلحات استخدامًا هو مصطلح (موضوعات القرآن)، استخدمه كثيرًا في حديثه عن موضوعات السور المكية والمدنية، ومصطلح (أهداف القرآن)، وهو ثاني مصطلح استخدمه في بيان مقاصد القرآن[١].

ثانيًا: مقاصد القرآن عند محمد قطب:

ذكر محمد قطب أنَّ للقرآن مقاصد خاصّة، وكان الأسلوب المختار لسَوق هذه المقاصد والأهداف الخاصّة هو أسلوب (القصة) أو (القصص) مزوَّدة بزخارف فنيّة لمتعة القرّاء، بالإضافة إلى توصيل الرسالة الإلهية ممثلة في موضوع السورة التي يقصّ الله على عباده ما يشاء من قصص وأنباء هدائية وإرشادية بالغة[٢].

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٥٠.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٥٠.

ويرى محمد قطب أنَّ الاختلاف الواقع بين السور المكيّة والمدنية من حيث الأسلوب الفني والتعبيري سَببُه هو اختلاف موضوعهما ومقصدهما في الرسالة التي ترمي إليها كلّ سورة مكية أو مدنية؛ فخصائص التعبير في السور المكية من قِصَر الآيات وسرعة النبض، وسرعة الحركة، وإثارتها للوجدان؛ إنما ذلك لموضوعها ومقصدها الذي يتعلّق بالعقيدة الإيمانية التي بدأ القرآن بترسيخها في نفوس المؤمنين. وكذلك خصائص السور المدنية التي هي طول الآيات والتأنِّي في الحركة الذي هو أقرب إلى إثارة التأمُّل الفكري منها إلى إثارة الوجدان، فهذه قاعدة عامة غالبية وليست مطّردة في بناء السور المكية والمدنية[(١)].

ويرى محمد قطب أنَّ موضوعات القرآن الواردة في السور هي توقيفية، أيْ: إنَّ الله تعالى هو الذي اختار لكلّ سورة موضوعها ومقصدها وما تريد تحقيقه وبيانه للناس، واستشهد محمد قطب على ذلك بدليلين:

الدليل الأول: أنَّ النبي ﷺ ما كان يعرف موضع الآية والسورة إلا بعد أن يخبره جبريل عليه السلام بمكانها ومحلّها[(٢)].

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٢٠.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٩.

الدليل الثاني: وجود آيات مكية في سور مدنية وعكس ذلك؛ مما يدلّ على توقيفية موضوعات سور القرآن ومقاصدها[(١)].

ويرى محمد قطب أنَّ العقيدة هي المقصد القرآني كلّه؛ المكي منه والمدني، ولم تكن السور المكية مختصة بمقصد العقيدة دون السور المدنية، وهذه العقيدة ليست شيئًا واحدًا؛ بل لها فروع وأجزاء هي التي تشكّل بمجموعها المقصد القرآني الغائي الذي نزل من أجله القرآن. ففروع العقيدة وأجزاؤها المتشعِّبة عند محمد قطب هي خمسة:

١. معرفة الخالق. (مَن خالق هذا الكون؟).

٢. معرفة مدبِّر الكون والأحداث. (مَن مدبر الكون ومدبر الأحداث؟).

٣. معرفة أصل الإنسان ومجيئه. (مِن أين جئنا؟).

٤. معرفة المعاد بعد الوجود. (إلى أين نذهب بعد الموت؟).

٥. معرفة غاية الحياة قبل الموت (لأيّ غاية نعيش؟).

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٨-١٩.

ويعرِّف محمد قطب العقيدة بمعناها المطلق بأنَّها: «الإيمان بوجود خالق هذا الكون، ثم وجود مجموعة من التصوّرات في أذهان الناس حول ذلك الخالق، تطبع بطابعها واقع الحياة في الأرض»(١).

يقول محمد قطب في بيان أنَّ العقيدة هي مقصد القرآن الأصلي وموضوعه الرئيس بشتى فروعها وأجزائها وأبوابها: «الموضوع الرئيس في السور المكية كلّه هو العقيدة، هو "لا إله إلا الله" بكلّ موجباتها في الآفاق والأنفس، وكلّ تفصيلاتها وتفريعاتها، وكلّ مقتضياتها في واقع النفس وواقع الحياة، بل نستطيع أن نقول في الحقيقة: إنَّ العقيدة هي الموضوع الرئيس في القرآن كلّه؛ مكيِّه ومدنيِّه على السواء»(٢).

وذكَر محمد قطب أنَّ العقيدة ليست بابًا واحدًا، بل لها أبواب كثيرة، وحصرها في ستة أبواب؛ وهي بمجموعها تتكوّن العقيدة الصحيحة الثابتة في القرآن، وهي مقاصده الجزئية:

١. الإيمان بالله. (مقصد توحيد الألوهية).

٢. الإيمان باليوم الآخر. (المعاد).

---

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٢٧.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٢٢.

٣. الإيمان بالملائكة والكتاب والنبيين، والقدَر خيره وشره.

٤. قصص الأنبياء والمرسلين. (مقصد القصص).

٥. قضية الابتلاء بين آدم والشيطان. (مقصد الابتلاء).

٦. أخلاقيات "لا إله إلا الله". (مقصد الأخلاق)[١].

ثالثًا: شرح آحاد أبواب مقصد العقيدة الكلي القرآني عند محمد قطب:

الباب الأول: الإيمان بالله (الألوهية):

يرى محمد قطب أنَّ باب الإيمان بالله، أي: توحيد الألوهية، هو الموضوع والمقصد الرئيس في العقيدة، وهو يشمل الحيّز الأكبر من مجموع القرآن[٢]. وبيَّن كذلك ما اختصّ به القرآن المكي من الإعداد النفسي والروحي في مقصد العقيدة فيما يتعلّق بباب الإيمان بالله، وكيف مهَّد الطريق للقرآن المدني في تشريع الأحكام التكليفية[٣].

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٣٢.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٦٠.

(٣) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٦٢.

الباب الثاني: الإيمان باليوم الآخر (علم المعاد):

إنَّ باب الإيمان باليوم الآخر يلي باب الإيمان بالله في الأهمية؛ لذا يقرنه القرآن غالبًا مع الإيمان بالله تعالى، كما يقول محمد قطب: «يُولي القرآن أهمية بالغة للإيمان باليوم الآخر حتى لَيُلحِقه في كثير من المواضع بالإيمان بالله مباشرة، إثباتًا ونفيًا؛ فيصف المؤمنين بأنَّهم هم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويصف الكافرين بأنَّهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، كما يصف المنافقين بأنهم يزعمون بأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، جاء في وصف المؤمنين: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة: ١٧٧]، ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[الطلاق: ٢]، وجاء في شأن الكفار: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[التوبة: ٢٩]، وجاء في شأن المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[النساء: ٣٨]، وهكذا يجيء الإيمان باليوم الآخر مرتبطًا ارتباطًا مباشرًا بالإيمان بالله ومتممًا له»[(١)].

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٦٤-٦٥.

وذكر محمد قطب أنَّ الإيمان باليوم الآخر اشتملت عليه السور المكية والمدنية على السواء، إلا أنَّ الحديث عنه في المكية أكثر، وذكر أنَّ المنكرين لليوم الآخر والمؤمنين به كلّهم محتاجون إلى التذكير بهذا اليوم على الاستمرار(١).

والأساليب التي سلكها القرآن في إثبات اليوم الآخر (المعاد) كما يذكرها محمد قطب، هي ثلاثة؛ الأول: الجدل(٢). الثاني: التصوير(٣). الثالث: التأثير الوجداني(٤).

الباب الثالث: الإيمان بالملائكة والكتاب والنبيين، والقدَر خيره وشره:

لا تكتمل عقيدة المسلم حتى يؤمن بوجود الملائكة والجنّ كذلك، ويؤمن بالقرآن والكتب المنزلة مِن قبله، ويؤمن بالوحي والنبوّة، ويؤمن كذلك بالقدَر خيره وشره، وأنه من عند الله، وأنه لا متصرِّف فيه سوى الله. والإيمان بالملائكة يدخل تحت الإيمان بالغيب الذي وصَف الله تعالى به عباده المؤمنين

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٦٥-٦٦.
(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٧٤-٧٥.
(٣) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٧٥-٧٦.
(٤) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٧٦-٧٧.

في آيات كثيرة؛ وتتحدّث السور المكية عن هذه الموضوعات كلّها كجزء متمم للعقيدة بعد الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر اللذَين يستغرقان -من حيث الحجم- أكبر مساحتين في السور المكية بهذا الترتيب: الإيمان بالله أولًا، ثم الإيمان باليوم الآخر. وقد كانت هناك -ولا شك- ملابسات معيّنة في الفترة المكية استدعت الحديث عن هذه الموضوعات، ومنها الإيمان بالملائكة[١].

فأمَّا الإيمان بالملائكة فهو يُؤدِّي مهمّة مزدوجة أو جملة مهامّ في وقت واحد؛ فجبريل عليه السلام هو الذي نزل بالوحي على سيدنا محمد ﷺ، ومن ثَم فالإيمان بجبريل -وهو أحد الملائكة- والشعور بالحُبّ والمودّة له جزءٌ من الاعتقاد اللازم للمؤمن، كالإيمان بصدق القرآن سواء، حتى لا يداخله شك في الطريق الذي وصل به إلينا القرآن. ثم إنَّ الملائكة عامّة ذات صداقة ومودّة للمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وقد سرَد محمد قطب الآيات التي تثبت ذلك[٢].

وأمّا الإيمان بالقدَر خيره وشرّه فهو كذلك يؤدي في حياة المؤمن عدّة مهامّ: فهو من ناحية يتّصل بالإيمان بذات الله سبحانه، وبأنه هو المدبِّر لكلّ أمر،

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٨٥-٨٦.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٩٤.

المتصرف فيه بلا شريك، أيْ إنه متّصل بالجانب الاعتقادي من الإيمان، ومن ناحية أخرى يتّصل بسلوك المؤمن في واقع الأرض إزاء الأحداث، وهذا أمر ذو أهمية بالغة[١].

الباب الرابع: قصص الأنبياء:

يحتلّ قصص الأنبياء جانبًا غير قليل من السور المكية، ويتركّز بصفة خاصّة في مجموعة من السور يحمل بعضُها اسمَ واحدٍ من الأنبياء في الغالب، بالإضافة إلى سورة (الأنبياء) التي يشير اسمها إلى موضوعها. وتلك السور هي: الأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والكهف، ومريم، و(طه)، والأنبياء، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والصافات، و(ص)... غير إشارات عديدة جدًّا في كثير من السور المكية.

الباب الخامس: قصة آدم وإبليس (العبادة والتكليف والطاعة والعصيان والعمران):

تجيء قصةُ خلقِ آدم في أكثر من موضع في السور المكية، وكذلك ترِد قصة الشيطان مع آدم في أكثر من موضع؛ أحيانًا تجيء بكلّ تفصيلاتها كما في سورة

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص٩٥.

(الأعراف)، وأحيانًا تجيء ببعض هذه التفصيلات كما في سورة (الحجر) و(الإسراء) و(طه) و(ص)، وأحيانًا تجيء في سورةٍ إشارة عابرة، وهذا كثير جدًّا في القرآن، وتنفرد سورة (إبراهيم) بذكر موقف الشيطان يوم القيامة من بني آدم الذين استجابوا له في الدنيا، وتنصُّله الكامل من تَبِعَتهم[1].

تحدّث محمد قطب تحت هذا المقصد والهدف عن مصطلحات مهمّة في العقيدة الإسلامية -العبادة، التكليف، الطاعة، العصيان- تصبّ كلّها في وادي مقاصد القرآن، وتضمّنت قصة آدم وإبليس هذه المعاني والمصطلحات وما يتعلق بها؛ لذا أخذت هذه القصة أهميتها من بين قصص القرآن؛ لأنها حدَّدت للبشر مبدأهم ومنتهاهم، ودَورهم في الأرض وخطة سيرهم فيها، والعقبات التي تقابلهم في أثناء رحلتهم، وطريقة تجنُّب هذه العقبات وتخطّيها؛ فمِن أهم ما يمكن استنباطه من هذه القصة من أهدافها السامية: بروز الهدف من خلق الإنسان (وهو العبادة)، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذه العبادة واسعة المعاني والدلالات، ليس كما يتصوّر كثير من الناس أنها مقصورة على التكاليف والأحكام التشريعية المعروفة بل هي أشمل من ذلك، والدليل على ذلك وجود آيات أخرى -غير هذه الآية التي

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١١٤.

صرَّحت بلفظ العبادة- تذكُر أهدافًا أخرى للحياة كما ذكرته آية الذاريات، مما يمكن لنا أن نقول: إنَّ تلك الأهداف داخلة في معنى العبادة، وهذه الآيات هي: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[الملك: ١٥][(١)].

الباب السادس: أخلاقيات (لا إله إلا الله):

لقد قصد القرآن إلى الأخلاق بنوعيها: أخلاق الإيمان، وأخلاق الكفر. أو نقول: أخلاق الإسلام، وأخلاق الجاهلية. أو غير ذلك من التسميات والمصطلحات، والأهمّ أنَّ مطلَق الأخلاق له جانبان وشِقّان: المحمود، والمذموم. فالأخلاق المحمودة قَصَدَها القرآن ببيانها ومدح أصحابها، ورغَّب فيها ووعد بالثواب الجزيل عليها، وأمّا الأخلاق المذمومة فقد قَصَدَها القرآن ببيانها وذمّ أصحابها وأهلها، ودعى إلى تجنبها وأهلها، وأوعد عليها بالعقاب الشديد.

والملاحِظ لباب الأخلاق في القرآن يرى صلتها بالعقيدة؛ حيث إنها الإيمان بأن الله هو الآمر للأخلاق الإيمانية المحمودة، وهو الناهي أيضًا عن

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٢١.

الأخلاق الكُفرية المذمومة. فباب الأخلاق من أبواب العقيدة، كما سبق أنْ ذكَرَ الباحث أنَّ محمد قطب يرى أنَّ الأبواب الستة (ومنها باب الأخلاق) كلها راجعة إلى مقصد العقيدة أو التوحيد، ويقرّر محمد قطب أن الأخلاق المذمومة التي ذكرها القرآن هي ناشئة من التصوّر الفاسد للألوهية والربوبية، والله أعلم[(١)]. ويرى محمد قطب أنَّ العقيدة الصحيحة دائمًا تصاحبها الأخلاق الحسنة الطيبة[(٢)].

رابعًا: التسلسل التاريخي لمقصد الأخلاق في القرآن عند محمد قطب:

ذكر محمد قطب تاريخ بيان الأخلاق في القرآن، وهو أنَّ القرآن بدأ التنديد ببعض الأخلاق المذمومة منذ نزول آياته الأولى في سورة (العلق)؛ ذكر خُلُق الطغيان: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾[العلق: ٦]، وخُلق الاستغناء: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٧]، وخلق الكذب: ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[العلق: ١٣]، وخلق التقوى: ﴿أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾ [العلق: ١٢]، وخلق المراقبة: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[العلق: ١٤][(٣)].

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٣٤.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٤٠.

(٣) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٣٤.

ويذكر محمد قطب أنَّ السورة التي نزلت بعد سورة العلق في العهد المكي أيضًا قد برز فيها جانب الأخلاق، وهي سورة (القلم): ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾[القلم: ١-١٦].

ففي هذه السورة (أعني سورة القلم)، كما هناك (أي: سورة العلق) إبراز واضح للعنصر الأخلاقي من الجانبين: جانب الإيمان، وجانب الكفر،... وكأنما يقدّم السياق القرآني مواجهة كاملة بين أخلاقيات الإيمان وأخلاقيات الكفر، ممثلة في شخصين: شخص الرسول ﷺ، ممثلًا للإيمان، وشخص الوليد بن المغيرة الذي نزلت فيه هذه الآيات ممثلًا للكفر، أحدهما في القمة من الأخلاق؛ لأنه في القمة من الإيمان، والآخر في الحضيض من الأخلاق؛ لأنه في الدرك الأسفل من الكفر، وواضح أنَّ هناك مقابلة بين الإيمان ذاته وبين الكفر[1].

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٣٥.

ويمضي محمد قطب في عرض التسلسل التاريخي لمقصد الأخلاق في القرآن، ويمثل له بسورة الفجر المكية، فيقول: «فإذا انتقلنا إلى سورة أخرى مما نزل في السنوات الأولى للدعوة؛ كسورة (الفجر)، وجدنا استمرارًا لنفس الخط: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٥-٢٠]»[(١)].

ويختم محمد قطب عرضه التسلسلي لمقصد الأخلاق في القرآن في عهده المكي بآخر سورة نزلت فيه، وهي سورة المطففين، ويشرح الجانب السلوكي منها[(٢)].

خامسًا: مقاصد القصص في القرآن عند محمد قطب:

ذكر محمد قطب مقاصد قصص القرآن، ومع اعتبار القصص مقصدًا قرآنيًّا بذاته عند بعض العلماء، فإنَّ فيه مقاصد قرآنية، وقد ذكر أكثر هذه المقاصد مَن عدَّ القصص من مقاصد القرآن، ومنهم محمد قطب، ومقاصد القصص التي ذكرها أربعة، وهي:

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٣٨.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٣٨-١٣٩.

١. **إثبات صدق الوحي:** وقد ذكر ما يؤيد أنَّ هذا من مقاصد القرآن، فمن الآيات التي استشهد بها قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[يوسف: ٣].

٢. **التسرية عن الرسول ﷺ فيما يلقاه من قومه:** من تكذيبٍ وأذًى واتهامٍ بالسحر والجنون، فقد كُذِّب الرسل مِن قبلُ، ووُجِّه لهم نفس القول، ثم صبروا حتى جاءهم نصر الله وإهلاك المكذِّبين، ومصداق هذا المقصد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾[الأنعام: ٣٤]. وهناك آيات كثيرة مشابهة لهذه الآية ذكرها محمد قطب.

٣. **إثبات وحدة دين الأنبياء وعقيدتهم:** من أهداف القصص القرآني ومقاصدها: إبراز حقيقة عقيدية مهمة تُبْرَزُ من خلال السرد التاريخي، وهو أنَّ الأنبياء والرسل جميعًا -عليهم صلوات الله وسلامه- جاؤوا بكلمة واحدة، وقضية واحدة على تتابع الأجيال، وهي كلمة: (لا إله إلا الله)، وقضية واحدة هي: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٥٩].

وهذا الهدف والمقصد من أهم أهداف ومقاصد القصص القرآني في الحقيقة، ويبدو بارزًا شديد البروز من خلال السرد القرآني، وتتخذ له وسائل شتى، فأحيانًا يوحَّد أسلوب القصص مع التنويع الواضح في القرآن، بحيث

تجيء العبارة موحَّدة على لسان كلّ رسول، في الشريط المتتابع للرسل، وتارة يقال عن قوم معيّنين أنهم كذّبوا (الرسل)، مع أنهم لم يُرسَل إليهم إلا رسولٌ واحد، ليوحي التعبير بأنَّ تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيب الرسل كلهم، وقد برز هذا المقصد والهدف بوضوح في سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء بصفة خاصة[١].

٤ . **بيان سُنة الابتلاء**: إنَّ في كثير من قصص القرآن بيان سنة الابتلاء للأمم والأشخاص، وهو مقصد من مقاصد قصص القرآن، ربما لم يكن منصوصًا عليه في القصص ذاته، ولكنه مفهوم من سياق القصص أولًا، ومنصوص عليه كذلك في مواضع أخرى من القرآن، كما في أول سورة العنكبوت، وكما في آيات الغزو والجهاد وغيرها[٢].

(١) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١٠٤.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١١٣.

المطلب السادس: جهود الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) في مقاصد القرآن وموضوعاته:

أولًا: معرفة مقاصد القرآن أهم مقصد لمفسِّر القرآن في نظر ابن عاشور:

ذكر ابن عاشور في (المقدمة الرابعة) من تفسيره: (التحرير والتنوير) التي عنونها بـ«فيما يحقّ أن يكون غرَض المفسِّر»، وتحت هذا العنوان تعرَّض ابن عاشور لمقاصد القرآن، وذكر أنَّ معرفة مقاصد القرآن هي أهم غرض ينبغي أن يجعله المفسّرون لكتاب الله على اختلاف طرقهم في التفسير، فيقول ابن عاشور: «تتطلعون بعدُ إلى الإفصاح عن غاية المفسّر من التفسير وعن معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها حتى تستبين لكم غاية المفسّرين من التفسير على اختلاف طرائقهم، وحتى تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه، بالغاية التي يرمي إليها المفسّر، فتَزِنُوا بذلك مقدار ما أوفى به من المقصد، ومقدار ما تجاوزه، ثم ينعطف القول إلى التفرقة بين من يفسّر القرآن بما يخرج عن الأغراض المرادة منه، وبين من يفصّل معانيه تفصيلًا»[(١)].

دعا ابن عاشور في النصّ السابق إلى التفريق بين المفسّر الذي يسعى إلى معرفة مقاصد القرآن وبيانها للناس في تفسيره، وبين من يفصّل معاني الألفاظ

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١/ ٣٨).

ويشرحها ويفسّرها دون ربطها بمقاصدها التي نزل القرآن لبيانها، وذكر أنَّ المفسّر الذي سعى إلى بيان مقاصد القرآن وجعلها غاية له فهذا هو المفسّر المثالي الذي يُقتدى به ويُستفاد بكلامه في التفسير أكثر من غيره. ويكاد ابن عاشور يتفق مع جمال الدين القاسمي في هذه الفكرة، وهي الاهتمام بمقاصد القرآن ومقاصد الآيات أهم من الاهتمام بشرح ألفاظ القرآن ومفرداته وإعراب آياته، كما سبق بيان ذلك عنه في مبحثه.

ولم يترك ابن عاشور دعوته للمفسّر بأن يجعل بيان مقاصد القرآن هو هدفه الأسمى ومنهجه في عملية التفسير حتى قال: «فغرض المفسّر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كلّ ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلًا وتفريعًا كما أشرنا إليه في المقدمة الأولى، مع إقامة الحجة على ذلك إن كان به خفاء»[(١)].

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١/ ٤١).

ثانيًا: معرفة مقاصد القرآن تحتاج إلى الإلمام بعلمي المعاني والبيان في نظر ابن عاشور:

ذكر ابن عاشور في المقدمة الثانية من مقدمة تفسيره التي تحدَّث فيها عن استمداد علم التفسير فقال: «ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز؛ ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القديم علم دلائل الإعجاز»(١).

ثم نقل ابن عاشور عن السكاكي في كتابه (المفتاح) ما يؤكّد حاجة المفسّر الذي يطلب معرفة مقاصد القرآن إلى علمي البيان والمعاني، فقال: «لا أعلمُ في باب التفسير بعد علمِ الأصولِ أقرأَ على المرء لمراد الله من كلامه من علمي المعاني والبيان، ولا أعونَ على تعاطي تأويل متشابهاته، ولا أنفعَ في دركِ لطائف نكته وأسراره، ولا أكشفَ للقناع عن وجه إعجازه، ولَكَمْ آية من آيات القرآن تراها قد ضِيمَت حقّها واستُلِبت ماءها ورونقها أنْ وقعَت إلى من ليسوا من أهل هذا العلم، فأخذوا بها في مآخذ مردودة، وحملوها على محامل غير مقصودة»(٢).

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ١٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٢٠).

وقال ابن عاشور أيضًا: «وقال السكاكي في مقدمة القسم الثالث من كتاب (المفتاح): وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدّس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين (المعاني والبيان) كلّ الافتقار، فالويل كلّ الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل»[(١)].

وقد نقل ابن عاشور شرح كلام السكاكي في بيان حاجة طالب مقاصد القرآن إلى علمي البيان والمعاني من شرح الجرجاني لكتاب المفتاح، فقال: «وقوله: "تمام مراد الحكيم"، أي: المقصود هو معرفة جميع مراد الله من قرآنه، وذلك إمّا ليكثر الطلبُ واستخراجُ النكت، فيدأب كلّ أحد للاطلاع على غاية مراد الله تعالى، وإمّا أن يكون المراد الذي نُصِب عليه علامات بلاغية وهو منحصر فيما يقتضيه المقام بحسب التتبع، والكلّ مظنّة عدم التناهي، وباعث للناظر على بذل غاية الجهد في معرفته، والناس متفاوتون في هذا الاطلاع على قدر صفاء القرائح ووفرة المعلومات»[(٢)].

ثالثًا: مقاصد القرآن عند ابن عاشور:

ذهب ابن عاشور إلى أنَّ مقاصد القرآن الكريم الإجمالية ثلاثة، وهي:

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ١٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ١٩-٢٠).

الأول: الثناء على الله ثناءً جامعًا لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه عن جميع النقائص، ولإثبات تفرّده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء (التوحيد).

الثاني: الأوامر والنواهي (الأحكام).

الثالث: الوعد والوعيد[(١)].

أكَّد ابن عاشور أنَّ هذه الثلاثة هي مقاصد القرآن الأصلية الإجمالية، وهي مقاصد كلية وغيرها مكملات لها، ويجمع هذه الثلاثة مقصدٌ واحدٌ جامِعٌ وهو: (صلاح الدارَيْن)، وهذه المقاصد الثلاثة وإن كانت مقاصد أصلية إلا أنَّه يمكن أن تكون عبارة عن وَسَائِل ومُحَصِّلات لمقصد (صلاح الدارين)، فمقصد الأوامر والنواهي بهما تَصلح الدَّاران، ومقصد (صلاح الدارين) لا يتمّ إلا بمقصد آخر مُكَمِّل له وهو مقصد: (معرفة الآمر والناهي) الذي يعبّر عنه بعض العلماء بمقصد (التوحيد)، ولمّا كانت الأوامر والنواهي لا يمكن تحصيلها إلا عن طريق مقصدين آخرين وهما مقصدي (الوعد والوعيد)، اقتضي المنطق أن تكون مقاصد القرآن الأصلية ثلاثة كما سبق بيانها، وهذا مضمون كلام ابن عاشور عن مقاصد القرآن[(٢)].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ١٣٣-١٣٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ١٣٣-١٣٤).

ولابن عاشور كلام آخر عن (مقاصد القرآن) أوسع مما سبق ذكره في تفسير سورة الفاتحة، وقد قسَّم فيه مقاصد القرآن تقسيمًا ثلاثيًّا مثل التقسيم السابق، لكن بتعبير آخر، وهذا التقسيم الثلاثي لمقاصد القرآن ذكره ابن عاشور في (المقدمة الرابعة) من تفسيره: (التحرير والتنوير) التي عنونها بـ«فيما يحقّ أن يكون غرض المفسر»، فذكر ابن عاشور المقاصد التي أُنزِل القرآن من أجلها، فقال: «إنّ القرآن أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافة رحمةً لهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩]، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية»[(١)].

فمضمون كلام ابن عاشور هو أنَّ مقاصد القرآن على الجملة هو (صلاح أمر الناس)، وهذا الصلاح هو الذي تنبثق منه المقاصد القرآنية الثلاثة التي تفرَّعتْ عن هذا المقصد الإجمالي، وهي:

المقصد الأول: صلاح الأحوال الفردية (علم العبادات): وقد شرح ابن عاشور هذا المقصد بقوله: «فالصلاح الفردي يَعتمِد تهذيب النفس وتزكيتها،

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٨).

ورأسُ الأمر فيه صلاح الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصّة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكِبْر»[(١)].

المقصد الثاني: الصلاح الجماعي (علم المعاملات): وشرحه ابن عاشور بقوله: «وأمّا الصلاح الجماعي فيحصل أولًا من الصلاح الفردي؛ إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكلّ إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرُّف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، ويعبّر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية»[(٢)].

المقصد الثالث: الصلاح العمراني (علم العمران وعلم الاجتماع): وشرح ابن عاشور المراد بهذا المقصد، فقال: «وأمّا الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك؛ إذ هو حِفْظُ نظام العالم الإسلامي، وضبطُ تصرُّف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورَعْيُ المصالح الكلية

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٨).

الإسلامية، وحفظُ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع»[(١)].

وبعد أن ذكر ابن عاشور هذه المقاصد القرآنية الثلاثة أعاد ذِكر أمورٍ أخرى واعتبرها أيضًا من مقاصد القرآن الأصلية وعدَّدها بثمانية مقاصد، جمعها عن طريق الاستقراء، فقال: «أليس قد وجب على الآخِذ في هذا الفنّ أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها، فَلْنُلِمَّ بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا، وهي ثمانية أمور»[(٢)]. وهذه المقاصد القرآنية الثمانية هي بإيجاز:

١. إصلاحُ الاعتقاد وتعليمُ العَقْدِ الصحيح.

٢. تهذيب الأخلاق.

٣. التشريع؛ وهو الأحكام خاصّة وعامّة.

٤. سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها.

٥. القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسِّي بصالح أحوالهم.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٩).

٦. التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطَبين، وهو علم الشرائع وعلم الأخبار.

٧. المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المُحاجّة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

٨. الإعجاز بالقرآن ليكون آيةً دالةً على صدق الرسول[١].

في هذه المقاصد الثمانية عند ابن عاشور ثلاثة مقاصد يلاحظ عليها أنها ليست من المقاصد الأساسية، وهي: المقصد الرابع: سياسة الأمة، والمقصد السادس: التعليم، والمقصد الثامن الأخير: الإعجاز؛ فسياسة الأمة والتعليم يمكن إدراجهما ضمن المقاصد الأخرى كمقصد التشريع مثلًا، وأمّا الإعجاز فهو مقصد يتعلّق بخصائص القرآن وأساليبه البليغة، وهو وسيلة من وسائل التعبير عن المقاصد وليس مقصدًا بذاته، فإعجاز القرآن يكمن في بعض أساليبه؛ كالأمثال والتكرار، والقصة، فَيَعُدُّها بعض العلماء في مقاصد القرآن وليست منها.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٤٠).

رابعًا: التفسير الظاهري والباطني وعلاقتهما بمقاصد القرآن:

اهتم ابنُ عاشور ببيان المباحث المتعلّقة بمقاصد القرآن، ومن هذه المباحث مصطلح (التفسير الباطني) ومصطلح (التفسير الإشاري)؛ إذ الأول هو تفسير للقرآن بما ينافي مقصوده، كما قال ابن عاشور في المقدمة الرابعة فيما يحقّ أن يكون غرض المفسر: «كأنِّي بكم وقد مرَّ على أسماعكم ووعَتْ ألبابُكم ما قررتُه من استمداد علم التفسير، ومن صحة تفسير القرآن بغير المأثور، ومن الإنحاء على من يفسر القرآن بما يدَّعِيه باطنًا ينافي مقصود القرآن، ومن التفرقة بين ذلك وبين الإشارات، تتطلعون بعدُ إلى الإفصاح عن غاية المفسّر من التفسير، وعن معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها حتى تستبين لكم غاية المفسرين من التفسير على اختلاف طرائقهم»[(١)].

ولهذا رأيتُ أن أخصّص لهذين النوعين من التفسير -أعني التفسير الباطني، والتفسير الإشاري- مبحثًا في الحديث عن مقاصد القرآن عند ابن عاشور؛ ولأنَّ الإمام الغزالي أيضًا أدخل علم مقاصد القرآن تحت التفسير الباطني بمفهومه الذي فسَّره به لا بمفهومه عند الباطنية الشيعة كما سبق.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٨).

- نشأة التفسير الباطني وأول من خاض فيه:

ذكر ابن عاشور تاريخ التفسير الباطني وأول مَن عُرف به من طوائف الفِرَق المنتمية إلى الإسلام فقال: «ننبهكم إلى حال طائفة التزمت تفسير القرآن بما يوافق هواها، وصرفوا ألفاظ القرآن عن ظواهرها بما سمَّوه الباطن، وزعموا أن القرآن إنما نزل متضمنًا لكنايات ورموز عن أغراض، وأصل هؤلاء طائفة من غلاة الشيعة عُرفوا عند أهل العلم بالباطنية فلقّبُوهم بالوصف الذي عَرفوهم به، وهم يُعرفون عند المؤرخين بالإسماعيلية؛ لأنهم يَنسبون مذهبهم إلى جعفر بن إسماعيل الصادق، ويعتقدون عصمته وإمامته بعد أبيه بالوصاية، ويرون أن لا بد للمسلمين من إمامِ هُدًى من آل البيت هو الذي يقيم الدين، ويبين مراد الله. ولما توقعوا أن يحاجّهم العلماء بأدلة القرآن والسُّنة رأوا أن لا محيص لهم من تأويل تلك الحجج التي تقوم في وجه بدعتهم، وأنهم إن خصّوها بالتأويل وصرفِ اللفظ إلى الباطن اتهمهم الناس بالتعصب والتحكم، فرأوا صرف جميع القرآن عن ظاهره، وبنوه على أن القرآن رموز لمعانٍ خفيةٍ في صورة ألفاظ تفيد معانِيَ ظاهرةً ليشتغل بها عامة المسلمين، وزعموا أن ذلك شأن الحكماء، فمذهبهم مبنيّ على قواعد الحكمة الإشراقية ومذهب التناسخ والحلولية، فهو خليط من ذلك ومن طقوس الديانات اليهودية والنصرانية وبعض طرائق الفلسفة ودين زرادشت، وعندهم أن اللهَ يحلّ في كلّ رسول وإمام

وفي الأماكن المقدّسة، وأنه يشبه الخلق -تعالى وتقدّس- وكلّ عَلَوِيّ يحلّ فيه الإله، وتكلّفوا لتفسير القرآن بما يساعد الأصول التي أسسوها».

خامسًا: الفرق بين التفسير الإشاري والتفسير الباطني ورأي ابن عاشور في قبولهما:

تحدّث ابن عاشور حديثًا مستفيضًا عن الفَرق بين التفسير الباطني والتفسير الإشاري، وبدأ حديثه بذكر الحديث أو الأثر المرويّ في ذلك، وذهب إلى عدم صحته مرفوعًا، وشكَّك في صحته موقوفًا، وذكر ابن عاشور الأمثلة التي تبيّن الفرق الموجود بين التفسير الإشاري والتفسير الباطني، وذكر رأي الإمام الغزالي الذي يرى قبول التفسير الإشاري ورأي ابن العربي الذي يرى عدم قبوله، ثم ذكر اختياره في ذلك ومال مع الغزالي في جواز القول بالتفسير الإشاري بشروطه التي ذكرها، ويرى ابن عاشور أنَّ التفسير الإشاري ليس هو التفسير الباطني، وأنَّ الذين أخذوا مذهب الإشارة في تفسير بعض آيات القرآن معذورون بحجة أنهم لم يقولوا أنها هي أصل المعنى، ولكنها صالحة في دخولها تحت احتمالات الآية[1].

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٤).

وقد أورد ابن عاشور ما ذكره الغزالي في كتاب (إحياء علوم الدين)، وابن العربي في كتاب (العواصم من القواصم) في التفسير الباطني والإشاري واختلافهما في قبولهما[(١)].

وبعد أن ذكر ابن عاشور مذهب الغزالي وابن العربي في حكم التفسير الإشاري؛ بين مؤيِّد له ورادٍّ له، مالَ إلى جواز التفسير الإشاري كما ذهب إليه الغزالي لكن بثلاثة شروط ذكرها مع بعض الأمثلة من القرآن، فقال: «وعندي أن هذه الإشارات لا تعدو واحدًا من ثلاثة أنحاء:

الأول: ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحالٍ شبيهٍ بذلك المعنى.

الثاني: ما كان من نحو التفاؤل، فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد، وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده والذي يجول في خاطره.

الثالث: عِبر ومواعظ، وشأن أهل النفوس اليقظة أن ينتفعوا من كلّ شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها»[(٢)].

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٤-٣٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٥-٣٦).

ثم بيَّن ابن عاشور ما يقصد بالإشارة وفرَّق بينها وبين التفسير الباطني، وأنَّ التفسير الإشاري الجائز لا يخرج عن الشروط الثلاثة السابقة، فقال: «فليست تلك الإشارة هي حقّ الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبيّن. وكلّ إشارة خرجَت عن حدّ هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويدًا رويدًا إلى أن تبلغ عين مقالاتهم، وقد بصَّرْناكم بالحدّ الفارق بينهما، فإذا رأيتم اختلاطه فحققوا مناطه، وفي أيديكم فيصل الحقّ فدونكم اختراطه...»[1].

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٦-٣٧).

المبحث الثالث: مقارنة بين القديم والحديث في معالم وخصائص البحث المقاصدي:

المطلب الأول: خصائص البحث المقاصدي في الحديث:

لقد وعد الباحثُ في مقدمة البحث الأول وخاتمته الذي تحدَّث فيه عن جهود العلماء المتقدمين في مقاصد القرآن أن يتحدّث عن خصائص ومميزات البحث المقاصدي القرآني بين المتقدّمين والمتأخّرين، وقد حان وقتُ الحديث عن ذلك بعد اكتمال البحثين، واستقلال كلّ بحث برجاله وأعلامه ومنهجه الخاصّ، والحديث عن هذه النقطة مهم جدًّا، لكي يتعرَّف القراء والباحثون على التَّطور العلمي الذي بلغ إليه البحث في مقاصد القرآن وموضوعاته، وما ينفرد به كلّ عصر من العصور التي أسهم فيها العلماء في إثراء علم مقاصد القرآن وموضوعاته، ويمكن للباحث أن يوجز الحديث عن هذه الخصائص والمميزات فيما يأتي:

أولًا: إفراد بعض موضوعات مقاصد القرآن بالتأليف:

لقد رأي بعض العلماء ضرورة الحديث عن بعض مقاصد القرآن بشكلٍ انفرادي، حتى يتسنى لهم تفصيل الحديث عنه وبيانه للقراء والباحثين، وقد بدأ بذلك الإمام الشوكاني، حيث خصَّص لمقصد (المعاد) (اليوم الآخر) كتابًا مستقلًّا مفردًا تحدَّث فيه عن هذا المقصد العظيم، وسمَّى كتابه بـ: «المقالة الفاخرة في بيان اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة»، وكذلك نجد سيد

قطب يسير على هذا النهج ويؤلّف هو الآخر كتابًا جديدًا في مقصد المعاد أو اليوم الآخر ويُعَطِّره بالحديث عن بلاغة القرآن الكريم في تصوير مشاهد القيامة وأحداثها الرهيبة، ويسمي كتابه بـ: «مشاهد القيامة في القرآن».

ثانيًا: استخدام المصطلحات الجديدة في التعبير عن مقاصد القرآن:

ممّا تميز به بحث المقاصد عند المتأخرين أيضًا هو بروز مصطلحات جديدة لم يستخدمها المتقدّمون، أو لم يجعلوها من مقاصد القرآن، ومن تلك المصطلحات والمقاصد:

أ. مصطلح (الجدل): عدَّ الشيخ ولي الله الدِّهْلَوي -من المتأخرين- مصطلح (الجدل) من مقاصد القرآن -كما سيأتي تفصيل الكلام عن ذلك في محله-، وهذا المصطلح لم يرد عند أحد من المتقدمين كمقصد من مقاصد القرآن، ولم يستخدموه في مؤلفاتهم التي تحدثوا فيها عن مقاصد القرآن، لكن معناه موجود عند بعضهم كأبي حامد الغزالي حيث ذكره في القسم الخامس من مقاصد القرآن الستة التي قسمها إلى قسمين: الأصول المهمّة وهي الثلاثة الأولى، والتوابع المتممة وهي الثلاثة الأخيرة المتممة للعدد المذكور الستة، يقول أبو حامد الغزالي: «القسم الخامس: في محاجة الكفار ومجادلتهم وإيضاح مخازيهم بالبرهان الواضح وكشف تخاييلهم وأباطيلهم، وذلك ثلاثة أنواع؛ أحدها: ذكر الله تعالى بما لا يليق به، من أن الملائكة بناته وأن له ولدًا

وشريكًا، وأنه ثالث ثلاثة. والثاني: ذكر رسول الله ﷺ بأنه ساحر وكاهن وكذاب، وإنكار نبوّته، وأنه بشر كسائر الخلق فلا يستحق أن يُتَّبع. وثالثها: إنكار اليوم الآخر، وجحد البعث والنشور، والجنة والنار، وإنكار عاقبة الطاعة والمعصية»[(١)].

والذي يلاحظ كلام الغزالي في القسم الخامس من مقاصد القرآن الذي هو (الجدل أو المحاجاة)، يدرك أنَّ حديث الدِّهلَوي في مقصد الجدل في القرآن لم يخرج عمَّا ذكره أبو حامد الغزالي، وإنما وسَّع الدِّهلَوي البيان قليلًا في بعض أنواع الجدل؛ كجدل القرآن مع اليهود والنصارى والمشركين وغير ذلك[(٢)].

ب. مصطلح (التذكير بأيام الله): وهذا المصطلح ذكره ولي الله الدِّهلَوي في (الفوز الكبير في أصول التفسير)، وجعله المقصد الرابع من مقاصد القرآن، ولم يستخدم هذا المصطلح أحد من المتقدمين -حسب ما وصل إليه علم الباحث- تصريحًا، وبالنظر إلى ما يقصده الدِّهلَوي بهذا المصطلح، يعرف أنه موجود عند المتقدّمين بتعبير آخر وهو (القصص)، ونستطيع تأكيد ذلك في تعريف الدِّهلَوي لأيام الله، حيث قال: «أمّا "أيّام الله" وهي تلك الوقائع

(١) انظر: جواهر القرآن ودرره، محمد بن محمد الغزالي، ص٣١-٣٢.

(٢) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٣٣-٤٤.

والحوادث التي أوجدها الله تعالى إنعامًا على المطيعين، وانتقامًا من العصاة المجرمين»[(١)].

ج. مصطلح (الإصلاح أو الصلاح): وهذا المصطلح قد استخدمه كثيرٌ من المعاصرين في التعبير عن مقاصد القرآن وقسَّموه حسب جهاته وجوانبه إلى أنواع كثيرة، ومن أوائل من استخدم مصطلح (الإصلاح) في التعبير عن مقاصد القرآن محمد عبده، فقد نقل عنه تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا -الذي أكثر من استخدام هذا المصطلح أيضًا متابعةً لشيخه- أنَّ المقصد العام للقرآن هو (الإصلاح) الذي يتناول جميع الجوانب أفرادًا وجماعاتٍ، أخلاقًا وعاداتٍ فاسدةً: «والقرآن ما أُنزِل لتحديد المسائل، والأخبار، والقصص تحديدًا يستوي في فهمه كلّ قارئ، وإنما الغرض الأهمّ منه إصلاح النفوس، والتأثير الصالح فيها بترغيبها في الحقّ والخير، وتنفيرها من ضدهما»[(٢)].

وكذلك نجد الشيخ رشيد رضا يقسم المقاصد القرآنية إلى قسمين مستخدمًا لهذا المصطلح، فذهب إلى أنها قسمان؛ القسم الأول: مقاصد القرآن في إصلاح البشر. والقسم الثاني: مقاصد القرآن في إصلاح المفاسد الاجتماعية الكبرى[(٣)].

---

(١) انظر: الفوز الكبير، الدِّهلَوي، ص٦٦.

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٤/ ٢٤٢).

(٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١١/ ٢٢٣).

وتابع الشيخ الطاهر بن عاشور الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا في استخدام هذا المصطلح في التعبير عن مقاصد القرآن، فإنَّه قال: «إنَّ القرآن أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافة رحمةً لهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩] فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية»[(١)].

ونجد هذا المصطلح ينتشر بعد هؤلاء الشيوخ الثلاثة، فنجده عند الشيخ محمود شلتوت، والشيخ طه جابر العلواني، والشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ أحمد الريسوني، في كثير من مؤلفاتهم في مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة.

د. مصطلح (السياسة): لقد ورد مصطلح (السياسة) في تصنيفات الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ الطاهر بن عاشور لمقاصد القرآن، فذكره الأول ضمن المقاصد العشرة للقرآن عند ذكر القسم الثاني من مقاصد القرآن، وهو مقاصد القرآن في إصلاح المفاسد الاجتماعية الكبرى -كما سيأتي ذكر هذه المقاصد العشرة- وذكر أنَّ المقصد السادس من هذه المقاصد العشرة هو حكم

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٨).

الإسلام السياسي، أو النظامي السياسي، وفي المقصد الثامن من المقاصد العشرة أيضًا، ورد التعبير فيه بمصطلح (السياسة) فقال: «المقصد الثامن: نظام الحرب وفلسفتها، أو السياسة الدولية»[(١)].

وكذلك نجد ابن عاشور يستخدم هذا المصطلح بعد الشيخ رشيد رضا، ويعتبره بابًا عظيمًا في القرآن، ويذكر بعض الآيات القرآنية التي تحدّثَتْ عنه، فيقول تحت المقصد الرابع من مقاصد القرآن الأصلية الثمانية: «سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة، وحفظ نظامها»[(٢)].

وهناك مصطلحات أخرى جديدة ظهرت في حديث المتأخرين والمعاصرين في البحث المقاصدي القرآني لا يسع المجال للحديث عنها؛ كمصطلح (الكون)، ومصطلح (الحياة)، ومصطلح (الإنسان) التي وردت عند سيد قطب وعند محمد الغزالي في كتابه: (المحاور الخمسة للقرآن الكريم)؛ فإنه جعل مصطلح (الكون) في المقصد الثاني من مقاصد القرآن[(٣)].

وكذلك نجد مصطلح (العمران) من مقاصد القرآن الذي استخدمه المتأخرون كابن عاشور والشيخ طه جابر العلواني.

---

(١) انظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص٢٢٤.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٤٠-٤١).

(٣) انظر: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ محمد الغزالي، ص٥١.

ثالثًا: الدعوة إلى فهم مقاصد القرآن عند تفسير آياته واتخاذه منهجًا جديدًا للتفسير:

لقد دعا بعض العلماء المتأخرين إلى الاهتمام بمقاصد القرآن وجعلوه الهدف الأول من التأليف في التفسير، ونبذ المناهج الأخرى التي هَيمنَتْ على أذهان بعض المفسرين، ومن هؤلاء العلماء: جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ الطاهر بن عاشور؛ فالأول دعا المُطَّلعِين في كتب التفسير والمعنيِّين به أن يتركوا ما كانوا عليه من الاهتمام بجلب الأقوال المختلفة في التفسير واختراع الوجوه من التأويل، والإغراب في الإبعاد عن مقاصد التنزيل، فإنَّ الله لم يكلفهم ذلك وإنما يسألهم عن كتابه الذي أنزله لإرشادهم وهدايتهم، وعن سُنّة نبيه الذي بيّن لنا ما نزل إلينا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤][(١)].

وأمّا الثاني وهو الشيخ محمد رشيد رضا فقد اشتكى هو الآخر من عدم اهتمام المفسرين بمقاصد القرآن، وصَرْف عناية بعضهم في جمع الروايات المأثورة في التفسير، وإقبال بعضهم على العلوم الأخرى التي صرفتهم عن

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ٢٠٧-٢٠٨).

العناية بمقاصد القرآن، فبيّن أنَّ هناك حاجة ماسّة إلى تفسير يهتم بمقاصد القرآن[١].

فأمّا الشيخ الطاهر بن عاشور فقد عَنْوَنَ لِمَا نحن بصدده في مقدمة تفسيره حيث خصَّص فصلًا لبيان أهمية اهتمام المفسر بمقاصد القرآن، وسمّاه بـ: (فصل فيما يحق أن يكون غرض المفسّر)، وتحت هذا العنوان تعرَّض ابن عاشور لمقاصد القرآن، وذكر أنَّ معرفة مقاصد القرآن هي أهم غرض ينبغي أن يجعله المفسرون لكتاب الله على اختلاف طرقهم في التفسير، وكانت كلمته واضحة في هذا المنهج المقاصدي للتفسير[٢].

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١/ ١٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٨).

رابعًا: جمع الأقوال التي قيلت في أنواع مقاصد القرآن ومحاولة الترجيح بينها:

لقد حصل كثيرٌ من المتأخرين على الأقوال التي قيلت في مقاصد القرآن، وذكروها في مؤلفاتهم، وناقشوا فلسفة اختيارها كمقاصد للقرآن الكريم، ومع أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية قد استعرض كثيرًا من الأقوال التي قيلت في مقاصد القرآن، وناقشها ورجَّح بعضها في كتابه الفذِّ: «جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أنَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»، إلا أنَّ من المعاصرين مَن ذكروا أقوالًا كثيرة غير التي ذُكِرَت في مقاصد القرآن، ورجَّحوا ما يرونه راجحًا، ومن هؤلاء: الإمام الآلوسي، حيث ذكر خمسة أقوال في أنواع مقاصد القرآن، ثم رجَّح أنها أربعة أنواع، فقال: «وذكر بعض أجِلَّة أحبابي المعاصرين أوجهًا في ذلك، أحسنها فيما أرى أن الدِّين الذي تضمّنه القرآن أربعة أنواع: عبادات، ومعاملات، وجنايات، ومناكحات...»[(١)].

وكذلك نجد جمال الدين القاسمي يذكر مذاهب العلماء في تصنيف مقاصد القرآن، فينقل عن العز بن عبد السلام تصنيفاته لمقاصد القرآن[(٢)]، ويتبع

(١) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١٥/ ٤٨٥).

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ١٥٨).

ذلك بتصنيف الدِّهلَوي لمقاصد القرآن، كلّ ذلك تحت عنوان مقاصدي وسمه بـ: «ما اقتضته الحكمة الربانية في التنزيل الكريم»[(١)].

خامسًا: المقارنة بين مقاصد القرآن ومقاصد الكتب السماوية الأخرى:

اهتم كثيرٌ من المتأخرين بمقارنة مقاصد القرآن ومقاصد الكتب الأخرى أو مقارنة مقاصد القرآن المشتركة بين التوراة والإنجيل والزبور، وأكثر مَن صنع ذلك ولي الله الدِّهلَوي في كتابه: (الفوز الكبير في أصول التفسير)، والشوكاني في كتابه: (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات)، وسيد قطب في كثير من مؤلفاته التي تحدّث فيها عن مقاصد القرآن؛ فقد استشهد هؤلاء العلماء المتأخرون بنصوص كثيرة من الزبور والتوراة والإنجيل في إثبات وجود مقاصد متفقة أو مشتركة مع القرآن؛ كمقصد المعاد، ومقصد التوحيد، ومقصد النبوّات، وغير ذلك.

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ١٦٥).

المطلب الثاني: مقارنة البحث المقاصدي بين القديم والحديث:

يمكن تقسيم هذا المطلب الذي يقارن البحث المقاصدي بين القديم والحديث إلى قسمين:

القسم الأول: المقارنة بين منهج العلماء في القديم والحديث في البحث المقاصدي:

إنَّ منهج العلماء المتقدمين في الحديث عن أنواع مقاصد القرآن (كالتوحيد، والمعاد، والنبوّات، والأحكام، والأخلاق) هو الاكتفاء باستنباط تلك المقاصد القرآنية، والاستدلال ببعض النصوص من القرآن عليها، دون محاولة شرح هذه الأنواع وتخصيصها بالبيان والتفصيل في مؤلفاتهم، إلا قليلًا مما وُجِدَ عند الإمام الغزالي من محاولة شرح وبيان أنواع المقاصد القرآنية في كتابه: (جواهر القرآن ودرره). وكان حديث المتقدمين في مقاصد القرآن الكريم منحصرًا في أثناء تفسير بعض السور والآيات ومباحث بعض العلوم دون تخصيصها بمؤلفات أو مقدّمات أو مباحث خاصّة، فيمرّون على هذه المقاصد مرور الكِرام دون التوقّف طويلًا في توسيع دائرة البحث عن تفاصيلها، كما يظهر ذلك عند الطبري وابن بَرَّجان الإشبيلي، وفي بعض المؤلفات الأصولية كالإمام الشاطبي في (الموافقات)، ومؤلفات علوم القرآن كابن العربي في (قانون التأويل)، وفي بعض كتب العقيدة كمؤلفات ابن تيمية وابن القيم.

لقد تميز منهج المتأخرين في تناول مقاصد القرآن بتطبيق ما فهموه من آحاد مقاصد القرآن، مثل: مقصد الشريعة، ومقصد القصص، ومقصد الجدل، ومقصد التوحيد، فقد وظَّفُوا معارفَهم في تحليل هذه المقاصد، وشرحوا الآيات التي تختصّ بها، وألَّفوا في بعضها مؤلفات خاصّة حلَّلوا فيها دلالات تلك المقاصد، وممن أدلى بدلوه في تطبيق مقاصد القرآن أو أحد أنواعه: العلّامة عبد الله بن فودي، فقد فسَّر كثيرًا من الآيات القرآنية على ضوء مقاصدها الشرعية والقرآنية في تفسيره: (ضياء التأويل في معاني التنزيل)، كما سبق عرض بعض أمثلتها في الحديث عن جهوده في مقاصد القرآن.

واستمر تطبيق نهج التفسير المقاصدي للقرآن بعد ابن فودي على يَدِ الشيخ محمد عبده وتلاميذه كالشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره: (محاسن التأويل)، والشيخ رشيد رضا في تفسيره: (تفسير المنار)، وسيد قطب في تفسيره: (في ظلال القرآن)، والشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره: (التحرير والتنوير)، وأغلب المعاصرين الذين ألّفوا في تفسير القرآن في العصر الحديث طبَّقوا منهج التفسير المقاصدي في تفاسيرهم.

والعلماء المتأخرون وجدوا أنواع المقاصد وتصنيفاتها عند المتقدمين، فحاولوا شرحها وبيانها، وإضافة ما لم يُضِفه المتقدّمون في بيان أنواع هذه المقاصد، فجعلوا لكلّ مقصد مبحثًا خاصًّا تحدّثوا عنه وبيَّنوا منهج القرآن في تناوله، ويظهر هذا جليًّا عند الإمام الدِّهلَوي في كتابه: (الفوز الكبير في أصول

التفسير)، والإمام الشوكاني في كتابه: (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات)؛ فالأول ذكر في كتابه خمسة مقاصد قرآنية جعل لكلّ واحد منها فصلًا خاصًّا فصَّل فيه البيان، والثاني ذكر في كتابه ثلاثة مقاصد قرآنية -كما ظهر في عنوان كتابه- وفصَّل فيها البيان والحديث، مما يبرز به منهج القرآن في تناول الحديث عنها.

ويظهر تفوّق المتأخرين عن المتقدمين في توسيع دائرة الحديث عن مقاصد القرآن في جعلها أحد عناصر المقدّمة التي تشتمل عليها مؤلفاتهم في التفسير؛ فإنَّ مقدمات تفاسير بعض المتأخرين والمعاصرين قد تُوِّجَت ببعض المباحث المفيدة في مقاصد القرآن؛ كتفسير جمال الدين القاسمي (محاسن التأويل)، فقد عَنْوَنَ ضِمنَ عناوين مقدِّمة تفسيره بهذا العنوان: (ذكر مجمل مقاصد التنزيل وضروب التفسير)، وعَنْوَنَ كذلك بعنوان آخر دالّ على مقاصد القرآن، وهو: (فصل فيما اقتضته الحكمة الربانية من التنزيل الكريم)، وكذلك نجد هذا الصنيع عند الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ الطاهر بن عاشور؛ حيث خصَّص الثاني المقدمة الرابعة من تفسيره لبيان ما يجب أن يكون غرض المفسر، وهو معرفة مقاصد التنزيل وبيانها للقراء.

ومما نشأ بعد عصر المتقدمين من العلماء في مناهج التفسير من اتجاهات علمية واجتهادية: الاتجاه المقاصدي، والاتجاه الهدائي، والاتجاه الاجتماعي، الأدبي، وتدافعت بقوة نحو المضيّ قُدمًا للسير في رَكْب التجديد؛ لتثبت أنَّ

التفسير علم متجدّد، وأنَّ القرآن ما زال غضًّا طريًّا لم يتم معرفة مكنوناته المقاصدية والهدائية والإرشادية، فبدؤوا بوضع معالم للتفسير المقاصدي، والتفسير الهدائي والاجتماعي، وطبَّقوا ذلك في مؤلفاتهم الجديدة في علم التفسير ودراساتهم القرآنية في مؤلفات ذهبية؛ فقد وضع سيد قطب كتابه: (التصوير الفني في القرآن) لبيان مقصد القصص في القرآن، وعرض مقاصده القرآنية، ووضع كذلك كتابه: (مشاهد القيامة في القرآن)، وألَّف الشيخ رشيد رضا كتابه: (الوحي المحمدي) وتفسير (المنار). كلّ هذه المؤلفات في صميم الحديث عن مقاصد القرآن وتطبيق منهج التفسير المقاصدي والهدائي وبيان معالمه وطرقه، ويعتبر اللون المقاصدي في التفسير من أهم ألوان التفسير المعاصر[(١)].

ومع ما سبق عرضه من تميّز عصر المتأخرين بتطبيق التفسير المقاصدي كمنهج للتفسير إلا أنه يمكن القول بأنَّ التفسير المقاصدي كان مطبقًا منذ عصر الصحابة والتابعين، وقد أشار إلى هذه النقطة الجليلة الباحثان: رضوان جمال

(١) راجع في هذا الموضوع: الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، لرضوان جمال الأطرش، ونشوان عبده خالد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مجلة الإسلام في آسيا، العدد الخاصّ، مارس ٢٠١١م، ص٢١١-٢١٤.

الأطرش، ونشوان عبده خالد، حيث قالا: «إنَّ نظرة سريعة حول التفسير في مرحلته الأولى تدلّنا كيف أنَّ المقاصد القرآنية كانت تفهم عند الرعيل الأول من الصحابة بمجرد السليقة، وكيف كانوا يستعملون الأفهام في قراءة النصوص، والاستنباط منها، مع ما يراعي المصالح الكلية التي جاء التشريع من أجلها، ولا مجال هنا للاستدلال على ذلك، لكنَّ منهجهم في التأويل هو تجنب الإفراط في مسألة العدول عن ظواهر النصوص، ولم يبالغوا في البحث عن التفسير المقاصدي، وكانوا يعوِّلون بشكلٍ معتدل على ما وراء النصوص والأدلة من معانٍ ومصالح من غير قيود وحدود، وكانوا -من غير مُنازِع- هم الأجدر والأقرب والأقدر على فهم مقاصد القرآن؛ لقربهم من عهد الوحي، ومن ناحية أخرى فقد كان من مصادر التفسير لدى الصحابة: الاجتهاد وقوة الاستنباط، كما سلف ذلك، وبناءً على ذلك يمكن القول: إنَّ نشأة التفسير المقاصدي تعود في أساسها إلى تفسير الصحابة، وتطبيقهم العملي لمقتضى المقاصد في التفسير»[(١)].

(١) انظر: الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، لرضوان جمال الأطرش، ونشوان عبده خالد، مجلة الإسلام في آسيا، العدد الخاصّ، مارس ٢٠١١م، ص٢١١.

وفي الجملة فقد دعا المتأخرون والمعاصرون إلى التجديد في علم التفسير وربطه بالبحث المقاصدي القرآني، ومحاولة كسر حواجز الجمود والركود في علم التفسير، معتمدين على تفاسير الأوّلين حيث لا يسع العقلاء إنكار جهودهم العظيمة في التفسير بمختلف أنواعه، سواء التفسير بالمأثور أو التفسير اللغوي أو التفسير الفقهي الذي خرج منه بعض أنواع التفسير المقاصدي.

القسم الثاني: المقارنة بين المتقدِّمين والمُحْدَثين في تصنيف المقاصد وفلسفة تنويعها:

عند نهاية الحديث عن جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن يمكن القول بأنَّ العلماء المتقدمين والمتأخرين لم يتّفقوا على عددٍ معيّن لمقاصد القرآن، كما لم يتّفقوا على تقسيم هذه المقاصد إلى مقاصد أصلية ومقاصد جزئية أو تبعية، وإن كان بعضهم قد قسَّمها إلى ذلك؛ فممن قسَّم المقاصد إلى مقاصد أصلية وتبعية من المتقدمين: الإمام الغزالي، حيث قسَّمها إلى الأصول المهمة والتوابع المتممة، وكذلك ابن بَرَّجان الإشبيلي قسَّمها إلى مقاصد في الجملة ومقاصد على التفصيل، وكذلك ابن جزي قسَّمها إلى مقاصد في الجملة ومقاصد على التفصيل.

وأمّا المتأخرون فأغلبهم لم يهتم بتقسيم مقاصد القرآن إلى مقاصد أصلية وجزئية، أو تقسيمها على الجملة وعلى التفصيل كما صنع أكثر المتقدمين، وهذا مَأْخذ يؤخذ على المتأخرين؛ حيث لم يطوِّروا فلسفة تقسيم مقاصد

القرآن حسب أهميتها، أو كونها أصلًا ترجع إليها المقاصد الجزئية، فالمتقدمون لمّا استنبطوا المقاصد بيَّنوا أنَّ من بين هذه المقاصد أصولًا لا يُستغنى عنها بمقصد آخر؛ لكثرة أهميتها واهتمام القرآن ببيانها، فمن بين المقاصد الأصلية التي بيَّنها المتقدّمون:

١. مقصد التوحيد.

٢. مقصد المعاد.

٣. مقصد الأحكام.

٤. مقصد النبوّة.

٥. مقصد التذكير.

٦. مقصد النظر والتفكُّر والتدبّر والعبرة. (مقصد الأمثال).

٧. مقصد تزكية النفس.

٨. مقصد تهذيب الأخلاق.

٩. مقصد القصص.

ويترأّس الإمامُ الغزالي -من المتقدّمين- قائمة مَن قاموا بتصنيف المقاصد القرآنية إلى الأصلية، والتبعية أو الفرعية، أو الإجمالية، ثم ابن برَّجان الإشبيلي، ثم أبو بكر بن العربي، ثم ابن تيمية، ثم الشاطبي، ثم ابن جزي الكلبي، فهؤلاء حاولوا ذكر جملة المقاصد الأصلية التي تدور عليها مقاصد القرآن وغاياته المرجوة.

وينفرد ابن العربي بذكر مقصد (التذكير) من بين المقاصد القرآنية الأصلية السابقة، ويؤكد أنَّه معظم القرآن، ويستدلّ لأصليّة هذا المقصد بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات: ٥٥](١).

وأمّا مقصد (تزكية النفس) فينفرد أبو حامد الغزالي في جعله مقصدًا أصليًّا للقرآن؛ فالتعريف بالصراط المستقيم الذي هو أحد المقاصد الأصلية الستة عند الغزالي، يجمع جانبي (التزكية والتحلية) كما عبَّر به الغزالي حيث قال: «فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة: ٥]، إشارة إلى تحلية النفس بالعبادة والإخلاص، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، إشارة إلى تزكيتها عن الشرك والالتفات إلى الحول والقوة، وقد ذكَرْنا أن مدار سلوك الصراط المستقيم على قسمين؛ أحدهما: التزكية بنفي ما لا ينبغي. والثاني: التحلية بتحصيل ما ينبغي؛ وقد اشتمل عليهما كلمتان من جملة الفاتحة»(٢).

وأمّا مقصد (الاعتبار) أو مقصد النظر والتدبّر والاتعاظ فينفرد ابن برّجان الإشبيلي من المتقدّمين في اعتباره من المقاصد القرآنية الأصلية بعد مقصدي التوحيد والنبوّة؛ لأنَّ مقاصد القرآن الأصلية عنده ثلاثة، وهي: مقصد معرفة الله

(١) انظر: قانون التأويل، ابن العربي، ص٦٢٨.

(٢) انظر: جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص٦٩.

تعالى بأسمائه وصفاته، ثم مقصد الرسالة أو النبوّة وما جاءت به من الأوامر والنواهي، ثم مقصد النظر والتفكّر والتدبّر والعِبرة.

والذي يمكن ملاحظته من هذه المقاصد القرآنية الأصلية عند المتقدمين هو محاولة استنباط المقاصد المتشابهة بين ما هو مقصد أصلي وما هو مقصد فرعي، والتعبير عن المقاصد الأصلية بما يوافق أسلوب القرآن في التعبير عن هذه المقاصد القرآنية الأصلية، دون الخوض في دمج بعض هذه المقاصد إلى بعض، وتقليص عددها إلى عددٍ أقل، أو تغيير التعبير عن هذه المصطلحات المقاصدية بما يوافق حالة المجتمع في عصرهم، كما صنع ذلك المتأخرون والمعاصرون كما سيأتي عرض ذلك عنهم بعد قليل.

وأمّا المتأخرون والمعاصرون فيمكن تلخيص مقاصد القرآن الأصلية التي وردت في استكشافهم للمقاصد القرآنية في المقاصد الآتية:

١. المصالح المتعلقة بالدّين. (الإصلاح الديني).

٢. المصالح المتعلقة بالدنيا. (الإصلاح الدنيوي أو الصلاح العمراني).

٣. علم الأصول: معرفة الله، معرفة النبوّات، معرفة المعاد.

٤. علم الفروع؛ ويشمل: العبادات البدنية والمالية، والمعاملات، والمناكحات، والحكومات.

٥. علم الأخلاق.

٦. علم القصص (علم التزكية).

فكلّ هذه المقاصد الأصلية للقرآن وردت في كلام المتأخّرين عن مقاصد القرآن؛ فمقصد صلاح الدين أو الإصلاح الاعتقادي والصلاح الدنيوي أو العمراني وردَت عند العلّامة عبد الله بن فودي، ووردت مفصّلة عند الشيخ رشيد رضا، وابن عاشور، وسيد قطب، وابن عاشور هو أكثرهم تأكيدًا لهذين المقصدين واعتبارهما من المقاصد القرآنية الأصلية، فإنَّه لمّا ذكر أنَّ أنواع مقاصد القرآن تشتمل على الثناء على الله بصفاته وأسمائه وإثبات تفرده بالألوهية وإثبات البعث والجزاء، ثم الأوامر والنواهي، ثم الوعد والوعيد، ذهب إلى أنَّ جميع هذه الأنواع المقاصدية تدخل تحت مقصد أصلي واحد وهو صلاح الدّارَيْن، يقول ابن عاشور: «فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كلّه، وغيرها تكملات لها؛ لأنّ القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارَيْن وذلك يحصل بالأوامر والنواهي، ولمّا توقّفَت الأوامر والنواهي على معرفة الآمِر وأنه الله الواجب وجوده خالق الخلق؛ لزم تحقيق معنى الصفات، ولمّا توقّف تمام الامتثال على الرجاء في الثواب والخوف من العقاب؛ لزم تحقّق الوعد والوعيد. والفاتحة مشتملة على هذه الأنواع».

وأمَّا باقي المقاصد القرآنية الأصلية عند المتأخرين والمعاصرين غير مقصدي صلاح الدين وصلاح الدنيا، فقد تعرَّض لها شهاب الدين الآلوسي، وهي: مقصد علم الأصول وما يدخل تحته، ومقصد علم الفروع وما يدخل

تحته، ومقصد علم الأخلاق وما يدخل تحته، ومقصد علم القصص وما يدخل تحته. فهذه المقاصد القرآنية الأصلية الأربعة عند الآلوسي تجمع جميع المقاصد التي ذكرها المتقدّمون والمتأخرون والمعاصرون، وهو التصنيف الذي ينبغي الاعتماد عليه في الحديث عن مقاصد القرآن، وأصل هذا التصنيف الذي ذكره الآلوسي لمقاصد القرآن هو موجود عند فخر الدين الرازي، إلا أنَّ الآلوسي أضاف مقصدي علم الأخلاق وعلم القصص، وبيَّن ما يدخل تحت هذه العلوم أو المقاصد الأربعة من المقاصد الجزئية: فمقصد علم الأصول يحتوي على المقاصد الجزئية؛ مثل مقصد الثناء على الله وتنزيهه ومقصد المعاد ومقصد النبوة. ومقصد علم الفروع يدخل فيه مقصد التشريع، الذي يتفرّع إلى العبادات والمعاملات والمناكحات والحدود، والحكومات، وهكذا إلى آخر جميع المقاصد القرآنية الأصلية.

الخاتمة:

وبعد اكتمال الحديث عن جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن وموضوعاته في بحثين مستقلَّيْن؛ الأول منهما تمَّ فيه الحديث عن جهود المتقدِّمين من القرن الأول الهجري إلى القرن التاسع الهجري، وهم: أبو إدريس الخولاني، وابن سريج، وابن جرير الطبري، وابن بَرَّجان الإشبيلي، وأبو حامد الغزالي، وابن العربي، وفخر الدين الرازي، والإمام البيضاوي، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وابن جزي الكلبي، وابن القيم، والشاطبي، والإمام البقاعي، وقد نُشر هذا البحث مستقلًّا عن البحث الثاني الذي هو هذا، وقد تحدّث الباحثُ فيه عن جهود المتأخرين في الكشف عن مقاصد القرآن من القرن العاشر الهجري إلى القرن الرابع عشر، ورجال هذا البحث هم: ولي الله الدِّهلَوي، والعلّامة عبد الله بن فودي، ومحمد بن علي الشوكاني، والإمام الآلوسي، وجمال الدين القاسمي، ومحمد رشيد رضا، وسيد قطب، ومحمد قطب، ومحمد الطاهر بن عاشور.

وقد توصّل الباحث بعد تمام هذا البحث الثاني إلى نتائج يمكن اختصارها فيما يأتي:

١. هناك اختلاف وتمايز بين منهج المتقدّمين والمتأخرين في الحديث عن مقاصد القرآن بسبب اختلاف خلفياتهم ورُؤَاهم الفكرية والعقلية والمنطقية،

وسبب اختلاف نظرهم إلى القرآن نفسه، أو إلى حال المسلمين المخاطَبين بالقرآن ومدى حاجتهم إلى الاستفادة بهدي القرآن وإرشاداته القيّمة.

٢. لقد تطوّر البحث في المقاصد القرآنية بفضل جهود المتأخّرين واجتهاداتهم في تلمُّس معرفة مقاصد القرآن عن طريق تدبّرهم له، وفي فهمهم لكلام المتقدّمين عن مقاصد القرآن واستفادتهم بجهودهم السابقة وعدم تقليدهم في بعض أنواع المقاصد القرآنية وتصنيفاتها حسب كثرة ورودها في القرآن.

٣. لم تستقر عبارات المتقدمين وكذلك عبارات المتأخّرين في مصطلح المقاصد، أيْ إنهم لم يتفقوا في استعمال مصطلح معيّن في التعبير عن مقاصد القرآن؛ فالمتقدّمون عبَّروا عنه بمصطلحات مختلفة، مثل: (علوم القرآن) و(أقسام القرآن) و(معاني القرآن)، وأمّا المتأخرون فعبروا عنه بعبارات إضافية أخرى غير ما سبق عن المتقدمين، مثل مصطلح: (محاور القرآن)، و(أغراض القرآن)، و(أهداف القرآن)، و(موضوعات القرآن)، وغير ذلك من المصطلحات.

٤. تأثّرت بعض تصنيفات المعاصرين لأنواع المقاصد القرآنية بخلفياتهم الفكرية التي تدعو إلى الإصلاح الفردي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغير ذلك، وهذا التأثر واضح في فكر سيد قطب ومحمد رشيد رضا والشيخ الطاهر بن عاشور.

٥. إنَّ توظيف فهم المقاصد القرآنية عند عملية تفسير الآيات القرآنية عند المتأخّرين مُثْرٍ للمكتبة القرآنية بأفهام جديدة معتمدة على الفكر المقاصدي الذي لا يعتمد على تقليد السابقين في فهم وتفسير القرآن، وهذا ما جعل التفاسير المتأخّرة مختلفة عن تفاسير المتقدّمين الذين فهموا مقاصد القرآن لكنهم لم يوظّفوها صريحة في تفسير القرآن، وهذا ما جعل المتأخرين يدعون إلى منهج التفسير المقاصدي، وأوّل مَن دعا إليه من المتأخّرين جمال الدين القاسمي، ثم الشيخ محمد رشيد رضا، ثم محمد الطاهر بن عاشور.

وأمّا التوصيات التي يوصي بها الباحث في نهاية هذا البحث، فهي:

١. يجب الاستمرار في استكشاف جهود علماء آخرين من المتأخرين والمعاصرين في البحث المقاصدي؛ لأنَّ هذا البحث الثاني ليس هو البحث النهائي الشامل لجميع جهود المتأخرين والمعاصرين في مقاصد القرآن وموضوعاته.

٢. ينبغي القيام بدراسة نقديّة مقارنة بين جهود المتأخرين والمعاصرين أنفسهم، لمعرفة وجوه إسهامات كلّ عالم في الحقل المقاصدي وخصائص آرائه ونظراته في مقاصد القرآن مع توسيع دائرة البحث.

٣. ينبغي جمع ما تناثر من كلام المتأخرين والمعاصرين عن التفسير المقاصدي في موسوعة تُرتَّب حسب سور القرآن، ويسير منهج تلك الموسوعة

على منهج التفسير المقاصدي والهدائي جامعًا لأقوال العلّامة عبد الله بن فودي، والشيخ شهاب الدين الآلوسي، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ رشيد رضا، وسيد قطب مثلًا؛ فإنَّ ما تميَّز به تفاسير هؤلاء من المباحث المستجدّة في علم التفسير مما يستحق عناية خاصة بالبحث والتنقيح.

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: الكتب المطبوعة:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- الآلوسي، محمود بن عبد الله شكري، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٥هـ.

- ابن بَرَّجان، عبد السلام بن عبد الرحمن، **تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم (تفسير ابن بَرَّجان)**، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

- البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، بدون تاريخ.

- البقاعي، إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، سنة: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

- البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، سنة: ١٤١٨هـ.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن**، تحقيق: أبو عمر الندوي، وعبد العزيز بن فتحي بن السيد، ط١، الرياض: دار القاسم للنشر، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المملكة العربية السعودية: مجمع ملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- ابن جزي، محمد بن أحمد، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق الدكتور: عبد الله الخالدي، ط١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، سنة: ١٤١٦هـ.

- حقي، محمد صفاء، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- حيدر، حازم سعيد (الدكتور)، **علوم القرآن بين البرهان والإتقان**، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، سنة: ١٤٢٠هـ.

- الداودي، محمد بن علي، **طبقات المفسرين**، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

- الدِّهلَوي، ولي الله، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، أحمد بن عبد الرحيم، تعريب: سلمان الحسن الندوي، ط٢، القاهرة: دار الصحوة، سنة: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، **الوحي المحمدي**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٢٦هـ.

- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)**، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، سنة: ١٩٩٠م.

- الرازي، محمد بن عمر فخر الدين، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، سنة: ١٤٢٠هـ.

- الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط١، د.ت.

- الزركلي، خير الدين بن محمود، **الأعلام**، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، سنة: ٢٠٠٢م.

- أبو زيد، وصفي عاشور، **في ظلال سيد قطب؛ لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري**، المنوفية: صوت القلم العربي، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، القاهرة: دار الشروق، د.ت.

- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ.

- سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، القاهرة: دار الشروق، د.ت.

- سيد قطب، **معالم في الطريق**، تحقيق: علي بن نايف الشحود، بهانج: دار المعمور، ط١، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب سور القرآن**، تحقيق: رضا فرج الهمامي، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، سنة: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

- الشاطبي، أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن الحسن، ط١، دار ابن عفان، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- الشوكاني، محمد بن علي، **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات**، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، سنة: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

- الطحان، الدكتور/ أحمد إدريس، **منهجية الحوار الجدلي في القرآن والسنة النبوية**، كلية الشريعة، جامعة دمشق، بدون معلومات النشر.

- الطيار، مساعد بن سليمان (الأستاذ الدكتور)، **المحرّر في علوم القرآن**، ط٢، جدَّة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، سنة: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

- ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر، سنة: ١٩٨٤م.

- ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- عبد الله الخطيب (الأستاذ الدكتور)، مقاصد القرآن الكريم وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني؛ دراسة نصيّة في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، جامعة الشارقة، بحث بدون معلومات النشر.

- ابن العربي المعافري، أبو بكر محمد بن عبد الله، **قانون التأويل**، دراسة تحقيق: محمد السليماني، ط١، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، سنة: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- العِزُّ بن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، القاهرة: دار البيان العربي، ط١، سنة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م.

- العِزُّ بن عبد السلام، **نُبَذٌ من مقاصد الكتاب العزيز**، تحقيق: أيمن عبد الرزاق الشوَّر، ط١، دمشق: مطبعة الشام، سنة: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- الغزالي، محمد بن محمد، **جواهر القرآن ودرره**، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا القباني، ط٢، سنة: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، بيروت: دار إحياء العلوم.

- الغزالي، محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.

- فارس، طارق بن أحمد بن علي، **علوم القرآن عند الإمام ابن جزي الكلبي وأثرها في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل)**، رسالة الدكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

- الفراهي، عبد الحميد، **مفردات القرآن؛ نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية- (مفردات القرآن للفراهي)**، تحقيق: الدكتور/ محمد أجمل أيوب الإصلاحي، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، سنة: ٢٠٠٢م.

- ابن فودي، عبد الله بن فودي، **ضياء التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: أحمد أبو السعود، وعثمان الطيب، القاهرة، مصر: مطبعة الاستقامة، الطبعة الأولى: ١٩٦١م.

- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٨هـ.

- القسطلاني، أحمد بن محمد، **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، القاهرة: المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم البغدادي، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، سنة: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط٢٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، ط٢، الدمام: دار ابن القيم، سنة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ط٢، بيروت: دار المعرفة، سنة: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **التبيان في أقسام القرآن**، بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.

- محمد قطب، **دراسات قرآنية**، ط٧، القاهرة: دار الشروق، سنة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- محمد صفا إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مصر: دار السعادة؛ وبيروت: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٠٩هـ.

ثانيًا: المجلات العلمية وأبحاث المؤتمرات والرسائل العلمية:

- **أساسيات منهجية للتفسير الموضوعي**، محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي، مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم "واقع وآفاق"، جامعة الشارقة، سنة: ٢٠١٠م.

- **التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم؛ في ظلال القرآن أنموذجًا**، الدكتور/ وصفي عاشور أبو زيد، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي حول فهم القرآن بين النص والواقع، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر، سنة: ٢٠١٣م.

- **الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم**، رضوان جمال الأطرش، ونشوان عبده خالد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مجلة الإسلام في آسيا، العدد الخاص، مارس ٢٠١١م.

- **جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم**، الدكتور/ مسعود بودوخة، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه.

- **جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم**، الأستاذ الدكتور/ أحمد الريسوني، مؤتمر جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه.

- مقاصد القرآن ومحاوره عند المتقدمين والمتأخرين، عيسى بو عكاز، مجلة الإحياء، العدد: ٢٠/ ٢٠١٧م.

- **مقاصد القرآن عند الشاطبي؛ دراسة تأصيلية**، الدكتور/ مراد بلخير، مجلة المعيار، المجلد: ٢٣س، العدد: ٤٦، سنة: ٢٠١٩م.

- التفسير المقاصدي للقرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره (التحرير والتنوير)، الدكتور/ محمد تنكو علي، رسالة الدكتوراه، جامعة بايرو، كانو، نيجيريا، نوقشت عام: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.